
آراء جديدة
في السوق والتعبئة
ومبادئ الحرب
ملازم أول
معمر محمد أبو منيار القذافي

خالد علي بورقيبة

آراء جديدة

في السوق والتعبية ومبادئ الحرب

خالد علي بورقيبة

عيسى أبو يوسف اللويثي

آراء جديدة في السوق والتعبية ومبادئ الحرب

بقلم ملازم أول

معمر محمد أبو منيار القذافي

منشورات

المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان والمطابع

الطبعة الرابعة

1981 م

الإهداء

إلى الذين يعيشون في القرن العشرين

بعقلية القرن العاشر .

إلى الذين لم يستيقظوا بعد .

المؤلف



تقديم

إن التطور المتلاحق في صنع الأسلحة، ووسائل القتال أثر ـ دون شك ـ تأثيراً كبيراً على نظريات الحرب من تبعية الجيوش وسوقها . . إلى مهنة الميدان، واستخدام السلاح.

وسيتناول هذا الكتاب بعضاً من التطور الذي حصل في الأسلحة، وكذلك بعضاً من صفحات المعركة في التقدم والدفاع والهجوم . . ويتعرض بالتعقيب على ما طرأ على مبادىء الحرب من تحول خطير. والمتوخى من هذه الفصول هو تنبيه العسكريين في هذا الوقت إلى أن قواعد الحرب ومبادئها ليست سرمدية، أو مقدسة غير قابلة للتبديل، بل هي مرهونة بنوعية السلاح، ووسائل الحرب التي تتعرض ـ بدورها ـ لتطور عظيم أمام التقدم الصناعي الهائل في العصر الحديث.

الفصل الأول

انقلابُ السِّلاح

إن أي متصور يستطيع أن يرى أمامه شريطاً لتطور السلاح من السيف والترس والرمح والنشاب، إلى المدفع والصاروخ، وشبكات الدفاع ضد الصواريخ. ولقد دأب الإنسان على استغلال موارد الطبيعة وتحسينها لمصلحته ـ حسب تصوره ـ وأدى ذلك، ويؤدي، إلى تغيير في حياته عامة، فهو لا يستقر على حال، ولا يقف عند حد، فبعد السيف والرمح والسهام صنعت المجانيق والبندقيات والحراب، وبعدها ظهرت وسائل الحرب في البحر: السفن والغواصات وفي الجو: الطائرات، وفي الأرض، العربات المدرع منها والعادي.

وإني أسجل هنا في عجالة مقتضبة جداً تطور الأسلحة عبر التاريخ:

فالبندقية مثلاً ـ وهي السلاح الشخصي للجندي ـ كانت في يوم ما ذات (دزة) و (صوانة) مع ملحقاتها من صرة بارود وفتيل، وأداة قدح، وقضيب حشو، كما أنها كانت غاية في الطول ولا تستحق إدامة إلا ما ندر. ثم تطورت في فترة لاحقة إلى بندقية قصيرة نوعاً، وتتطلب صيانة إلى حد ما، مع الإستغناء عن الملحقات السالفة الذكر، وحل محلها عتاد يحشى بالمفرد، ثم ظهر الشاجور والمخزن، وأخذت تتطور حتى أصبحت ذاتية، واتسع مخزنها لعشرات الإطلاقات، وأصبحت تنتج ناراً كثيفة وسريعة في وقت واحد، إلا أنها تطلبت صيانة عالية جداً، واستلزمت مهارة في الإستعمال، هذا بالإضافة إلى زيادة المدى زيادة ملحوظة.

والمسدس أيضاً لا يختلف في تطوره كثيراً عن البندقية، فكان ذا حجم

كبير، وكتلة ثقيلة، وكبر العيار. وهو ـ أيضاً ـ يحتاج إلى جعبة كبيرة لحمل البارود والرصاص الذي ما كان ليستقر بداخله إلا عند الرمي، أما الآن فقد أصبح المسدس صغير الحجم خفيف الوزن، ويمكن الرمي به بواسطة أسطوانة ذاتية الدوران، كما تعددت أنواع المسدسات حتى أصبحت في حجم القلم، وبلا صوت.

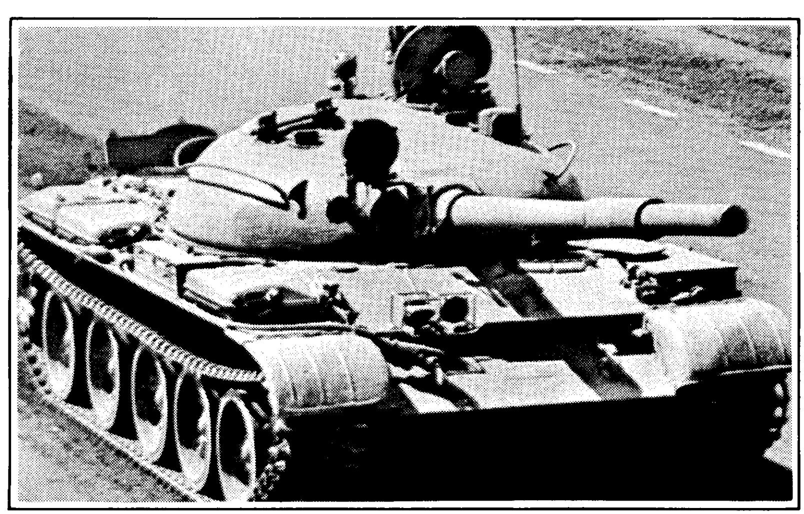
وكان أخطر انقلاب في الأسلحة الخفيفة والمتوسطة هو تطور السلاح الذي يرمي صلياً أو مفرداً أو مئات الإطلاقات في الدقيقة، وعلى مديات وصلت إلى أكثر من 8800 خطوة، وهي ذات أشرطة تحمل مئات الطلقات، ومخازن تحمل العشرات، كما اخترعت وسائل مساعدة لحشو المخازن بسرعة وسهولة، وهي: (عدد الإملاء) وزاد في خطورة هذه الأسلحة إمكان حملها على العجلات المدرعة مما أكسبها مرونة وحركة مضافة إلى كمية نيرانها الكثيفة، وقد أمكن تزويد البندقيات بعدسات وأشعة للتصويب، حتى أضحت إصابة الهدف محققة بالوسائل العلمية الحديثة.

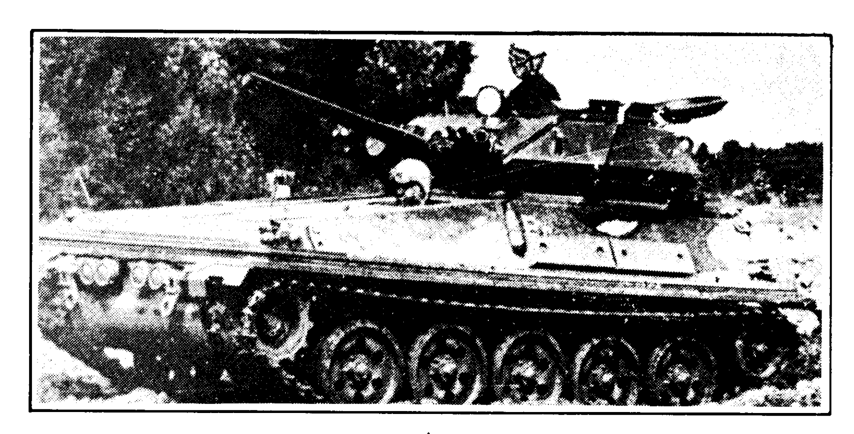
هذا فيما يخص بعض الأسلحة الخفيفة والمتوسطة، أما الثقيلة منها فقد تطورت حتى أصبحت ثمة مدفعية صاروخية، ووصل عيار المدفع إلى 400 مم والأخطر من ذلك أن هذه المدافع توصل إلى تثبيتها على العجلات المدرعة أيضاً، وأمكن تركيب عدد منها على العجلة الواحدة، واستطاع الروس والبريطانيون أن يزودوا الدبابات بأجهزة تصويب تجعل مدفعها ثابتاً على الهدف، مهما تحركت العجلة، ومهما تغير سطح الأرض المناسبة!! وقد زادت سرعة العجلات المدرعة، والتي تعد في ذات الوقت مدافع متحركة ـ زادت أضعاف ما كانت عليه سابقاً، فالمدرعة (بيرس) التي ظهرت عام 1917 كانت سرعتها 18 ميلاً في الساعة، بينما المدرعة صلاح الدين الموجودة الآن تصل سرعتها إلى 60 ميلاً في الساعة، وكلتاهما إنجليزية الصنع، وهذا مثال فقط على الإنقلاب الخطير الذي طرأ على الأسلحة، وحتى ما يستعمل الآن من عجلات مدرعة ودبابات قد طرأ التحوير

والتحسين على النوع الواحد منها، فالدبابة (شيرمان) الأميركية التي ظهرت عام 1941 والتي اعتبرت من أحدث الدبابات في الحرب العالمية الثانية قد انقلبت إلى (شيرمان 51) فأصبح وزنها 39 طناً، بعد أن كان 31 طناً وأصبح عيار مدفعها 105 ملم بعد أن كان 75 ملم. و(السنتوريون) التي ظهرت عام 1945 تطورت من العلامة (1) حتى أصبحت الآن العلامة (14) وزاد وزنها من 46 طناً إلى 50 طناً، كما ظهرت دبابة حديثة لم يكن للحرب علم بها قبل ذلك، مثل (ت 54، ت 55، ت 62 الروسية) والفيكرز، والشيفتين والعقرب الانجليزيه، والفهد الألمانية، والدبابة (أم اكس-30) الفرنسية، والدبابة السويدية عديمة البرج، والدبابة الأميركية أم 48، أم 60، أم 70، والتي يمكنها رمي الصواريخ الموجهة.

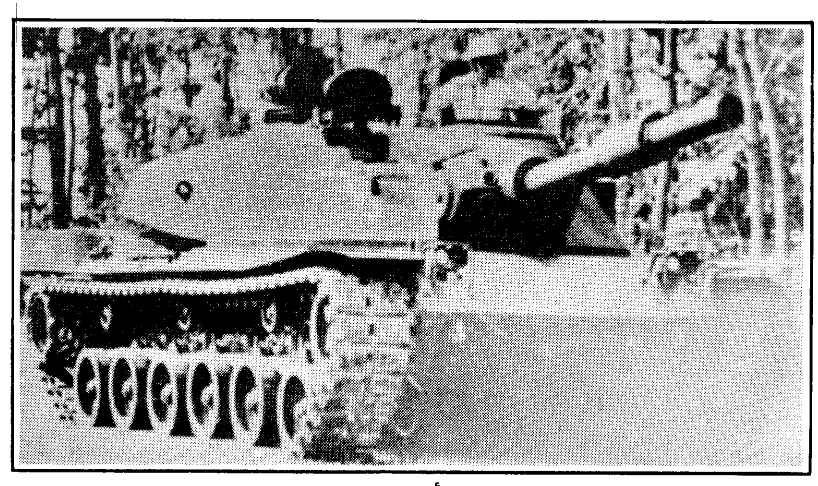
ونتيجة لهذا الإنقلاب الخطير في تطور الدبابات فقد قفزت سرعاتها حتى أصبحت الآن 65 ميل/ساعة، كما زادت الأوزان حتى أصبحت 75 طناً.

● **دبابة ت 62**

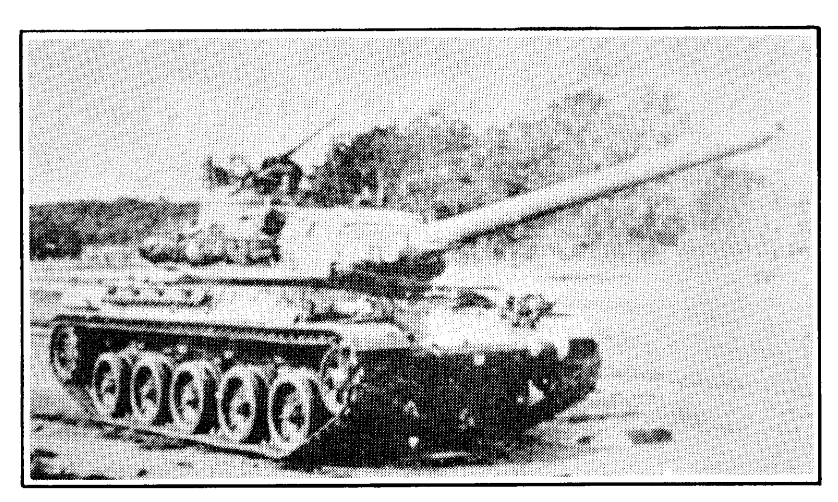




● الفهد



● أم 70 تقفز

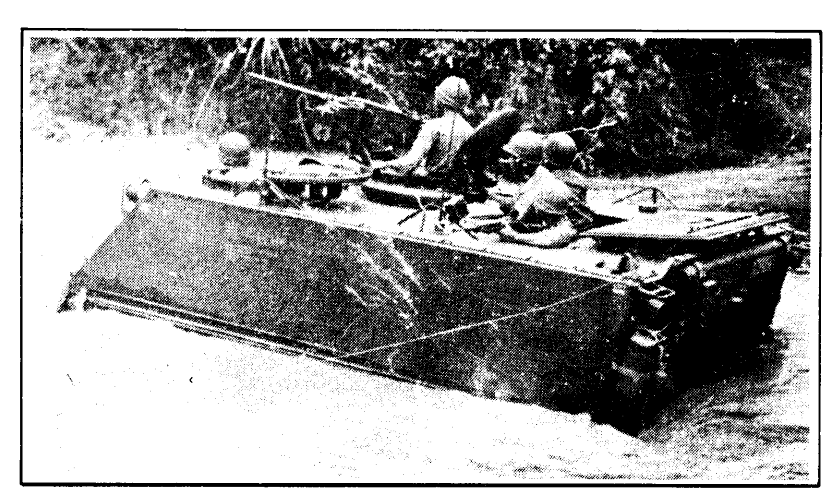


● أم أكس 30



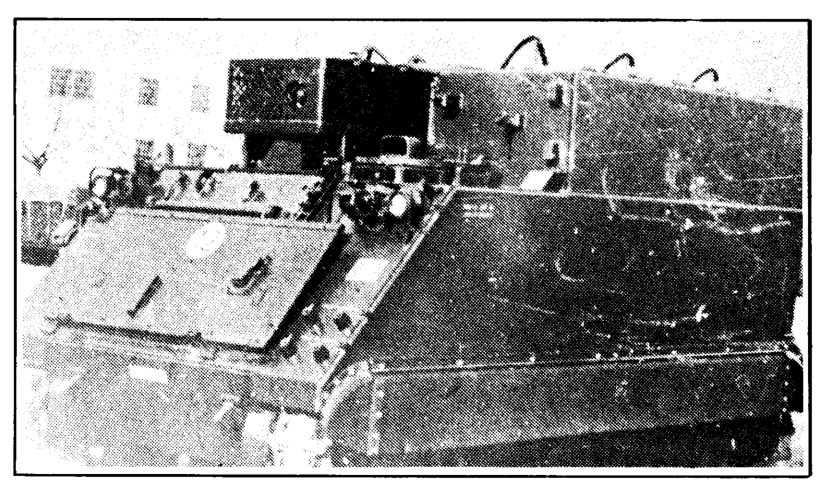
● ب أم ب

كما ظهرت ناقلة الجنود المدرعة التي أحدثت انقلاباً خطيراً في صنف المشاة التقليدي مثل ب ت آر 60 ، بي أم بي الروسيتين، والناقلة أم 113 الأمريكية والتي مكنت صنف المشاة من نقل خمسة عشر إلى عشرين مقاتلاً بكامل تجهيزاتهم حتى أهدافهم.

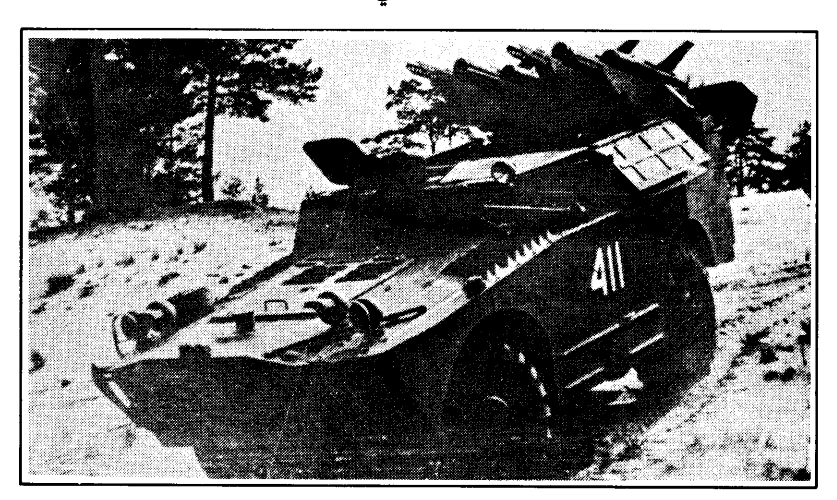


● أم 113

أما فيما يخص العربات المدرعة الخفيفة التي تستخدم ـ عادة ـ في الإستطلاع فقد تطورت تطوراً ملحوظاً، من مجرد درع بسيط مركب على دراجة عادية . . . إلى المدرعةالإنجليزية (الثعلب) والمزودة بمدفع ذاتي الرمي عيار 20 ملم، والتي تصل سرعتها إلى 75 ميل/ساعة، والمدرعة الروسية (بردم 7) ذات الصواريخ الموجهة، والمدرعة الأمريكية (الفدائي) المزودة بمدفع 30 ملم والتي سرعتها 80 ميل/ ساعة.

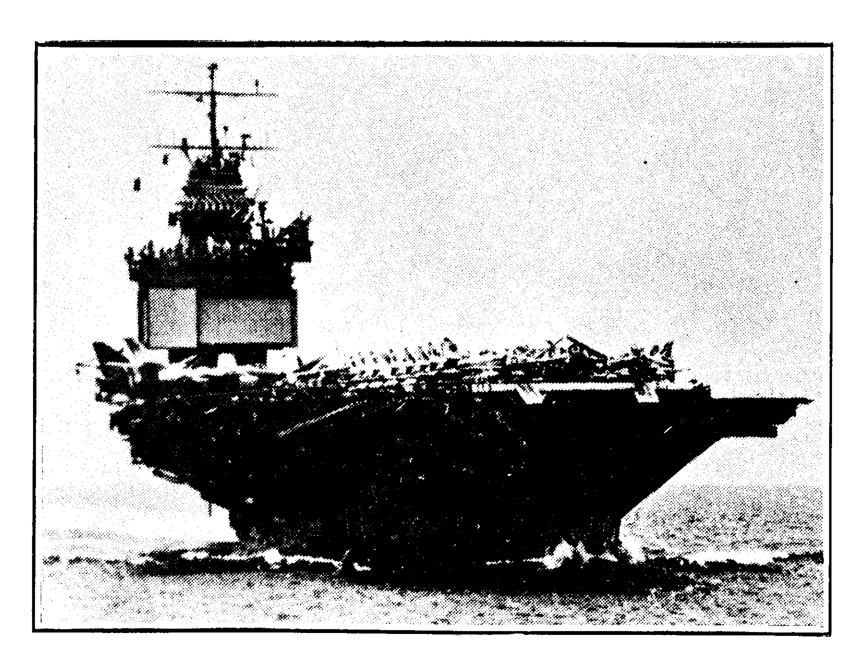


● الفدائي

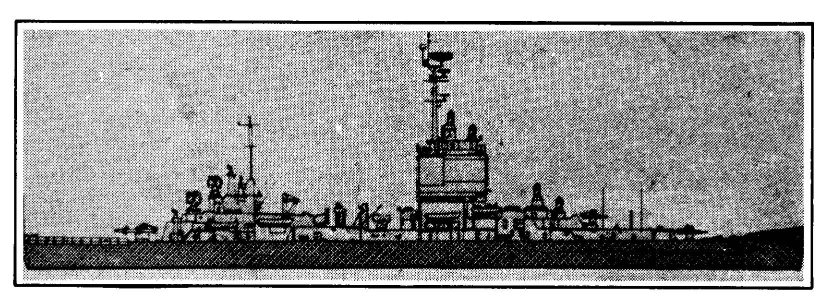


● مدرعة / بردم 7

ليس هذا فحسب، بل لقد شمل التطور أيضاً الأسلحة والمعدات البحرية. . فقد ظهرت الغواصات النووية المزودة بالصواريخ الموجهة ذات الرؤوس النووية والتي لها القدرة على الدوران حول العالم تحت سطح الماء، وكذلك حاملات الطائرات مثل حاملة الطائرات الأمريكية (إنتربرايز) والتي تستطيع حمل (110) طائرات مختلفة الأنواع.

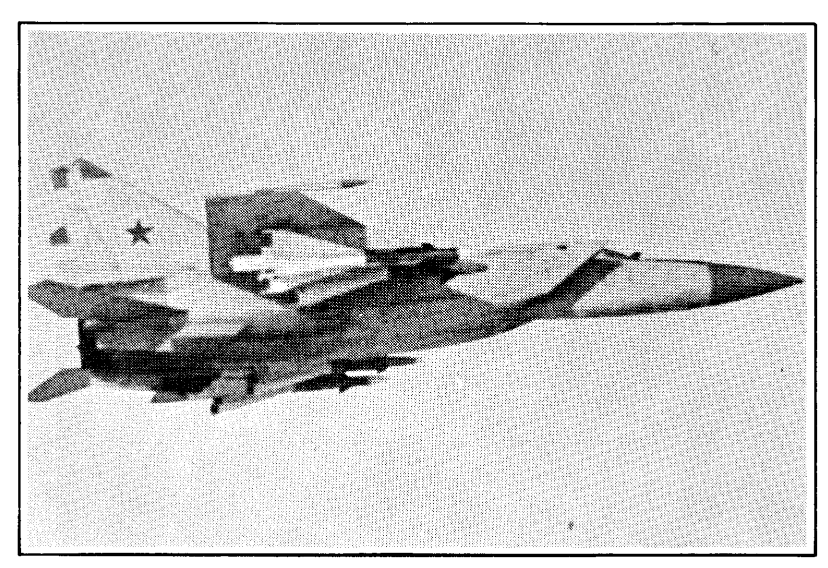


● حاملة الطائرات انتر برايز

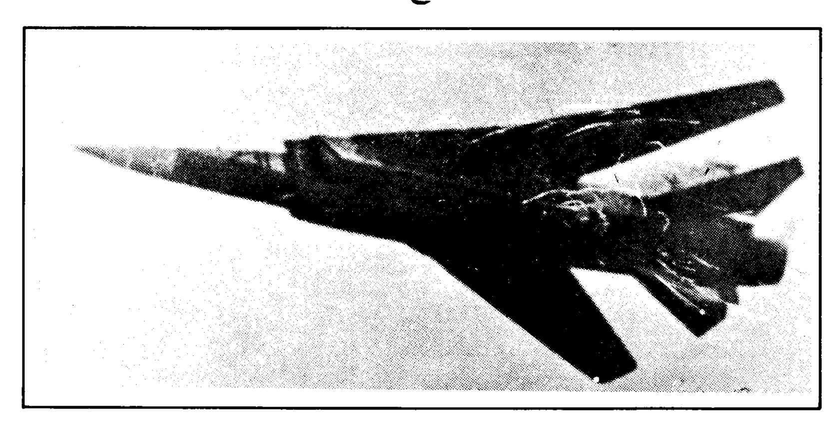


طراد / الشاطىء الطويل

أما في الجو فقد اختفت الطائرات القديمة التي خاض بها العالم الحربين العالميتين، فنحن اليوم نسمع عن الميج 25 الروسية، والتي تستخدم لغرض الإستطلاع والقتال الجوي والتي تبلغ سرعتها (3,5) ثلاثة أضعاف ونصف ضعف سرعة الصوت. والميج 23 القاذفة والمقاتلة والتي تستطيع الطيران على ارتفاع 50 متراً، وبسرعة ضعف سرعة الصوت.

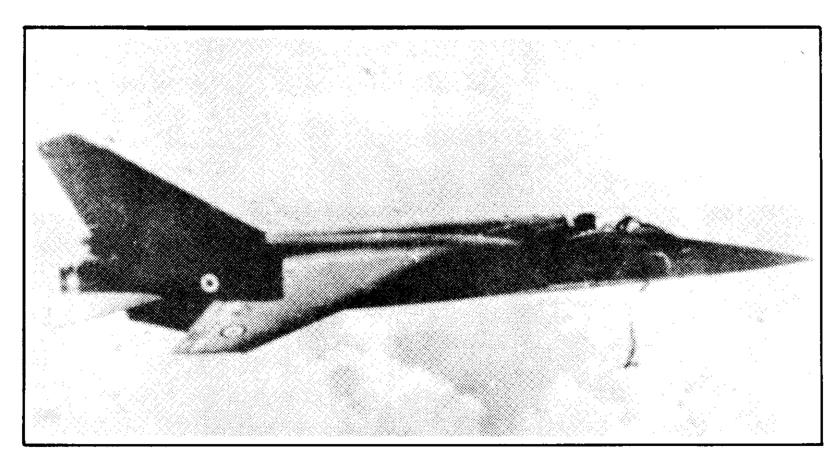


● ميج 25



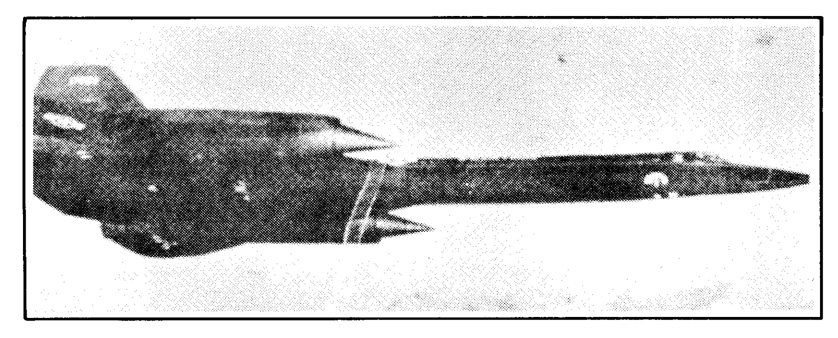
● ميج 23

وطائرة الإستطلاع الأمريكية س ر 71 التي تستطيع الطيران بسرعة 3,5 ثلاثة أضعاف ونصف ضعف سرعة الصوت، والطيران على ارتفاع مائة ألف قدم، والبقاء مدة عشر ساعات في الجو.



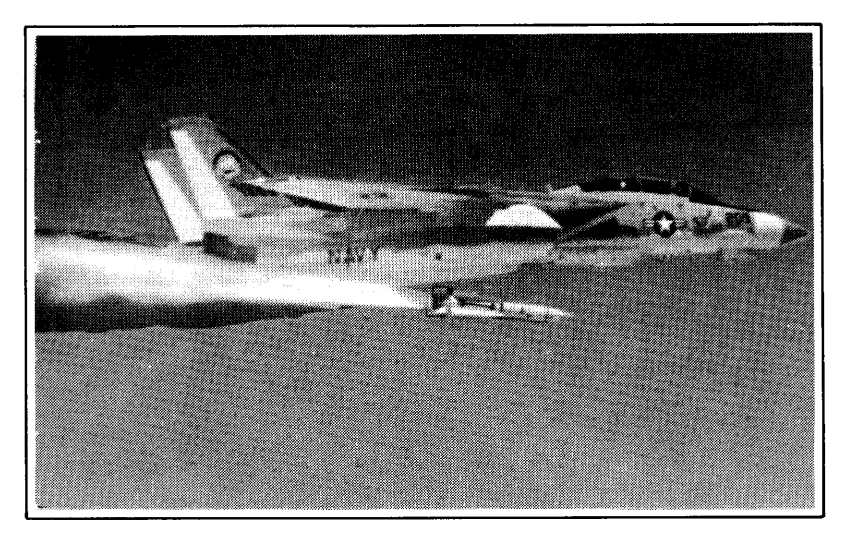
● ميراج ف ١

والميراج جـ 4 الفرنسية، والميراج ف ١ التي يبدأ إنتاجها منتصف السبعينات.



● طائرة الاستطلاع الأمريكية س ر/ 71

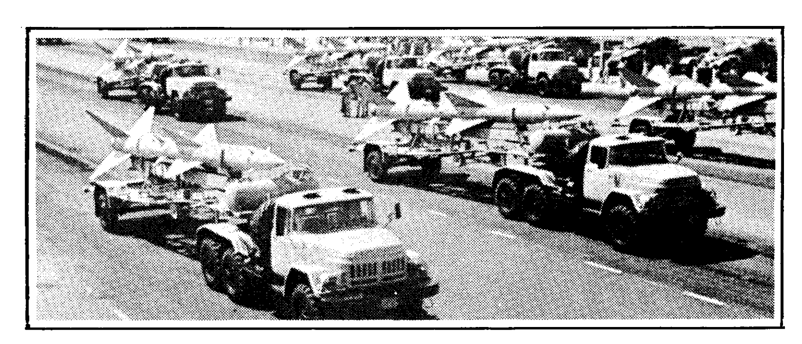
والطائرة المقاتلة ف 14 التي تستطيع ضرب أهدافها الجوية من على بعد 70 كم.



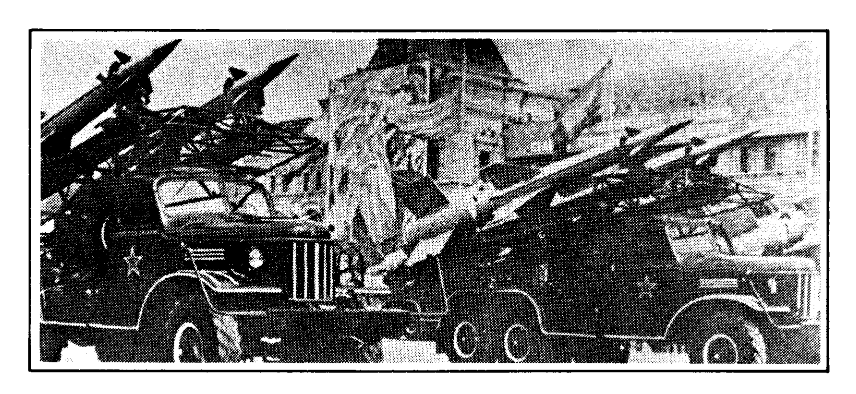
● ف 14

وقاذفة القنابل النووية ب 1 التي تستطيع الطيران بسرعة تزيد على ضعفي سرعة الصوت، وبمدى يصل إلى 5000 كم.

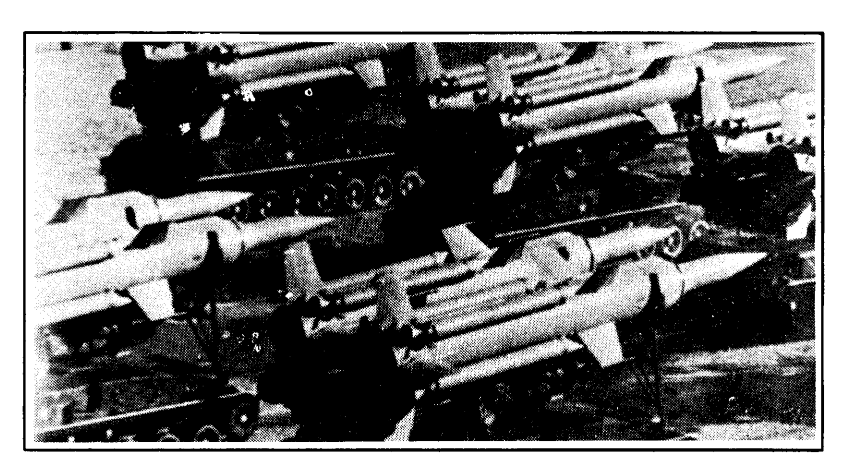
كما شمل التطور في المجال الجوي الطائرات العمودية أيضاً، حيث



● سام 2



● سام 3



● سام 6

ظهرت الطائرات العمودية المدرعة (هيو كوبرا) وطائرات النقل الضخمة مثل / س 130 .

أما تطور الصواريخ في هذه الأيام، والسباق الرهيب الذي يحكم الدول في هذا الميدان فهو من الأمور التي غيرت نظرية السوق والتعبية ومبادىء الحرب، فقد ظهرت الصواريخ عابرة القارات مثل (مينوت مان) العلامة 2 ، وصاروخ سبارتان الأمريكيين، و س س 9 و س س 11 الروسيين وجميعها متعددة الرؤوس النووية.

كما تطورت الصواريخ أرض/جو، حيث ظهرت صواريخ (نايك هركليز) وسام د الأمريكية،والصوريخ سام 4،وسام 6 ، وسام 7 الروسية.

كما ظهرت الصواريخ جو/أرض الحديثة مثل سرام الأمريكية ذات الرؤوس المبرمجة، والصاروخ الروسي أ. ك 9.

أما التطور في صواريخ جو/جو فهناكالصاروخ فينكس الأمريكي. وماترا 550 الفرنسي. والمارتال الإنجليزي الفرنسي. والتي تستطيع إصابة الأهداف الجوية من مسافات بعيدة. والمجال هنا لا يتسع للإتيان على تفاصيل ذاك السباق الحامي. ويكفي أن ثمة أنواعاً من هذه الصواريخ قد تم صنعها، ويجري تطويرها الآن.. كما أن أنواعاً أخرى هي في طريق الصنع.

وليكن معلوماً أن سلاح الصواريخ لم يعد صنعه وتطويره وقفاً على الدول الكبرى، بل أخذت دول صغيرة تصنعه وتمتلكه، وهي قادرة على تطويره أيضاً، مثل هولندا، وإيطاليا، وكندا، وفيتنام، هذا، بالإضافةإلى الدور الحربي الخطير الذي تلعبه الأقمار الصناعية في الإستطلاع السوقي وتصوير الأهداف. مما مكن القوات المقاتلة من الحصول على أدق المعلومات، وفي الوقت المناسب.

الفصل الثاني

تغيُّر السّوْق

تعريف

تعددت تعاريف السوق، وتبدلت عبر التاريخ. وعلى العموم فالسوق ذو صلـة بالسياسة وله تأثير عليها. . وهي ـ بدورها ـ تؤثر فيه، وتوجهه. وحيث أن السوق والسياسة صنوان متلازمان فإنه من المحتم تغيره وعدم ثباته، إذ أن السياسة مسألة ذات عدة ألوان، ولها مختلف الوجوه، وهي في تطور مستمر وحذق مطرد. . وعليه يصح التعريف الذي يقول: «السوق هو استخدام الوسائط العسكرية لتنفيذ أغراض السياسة العليا».

وإذا كان هذا التعريف الموجز لا يكفي بعض القراء فإن غاية هذا الكتاب ليست شرح هذه التعاريف، وإنما شرح الإنقلاب الذي طرأ عليها، وما عليهم إلا البحث والدرس ليعرفوا هاتيك المعاني.

تطور السوق

كان السوق قديماً وقفاً على القادة. . بل على كبار القادة فقط، وظلت غالبية الناس في معزل عنه، لا تعلم بشيء حتى يداهمها العدو الغازي، أو تسمع بأن جيوشها قد داهمت أناساً آخرين. . وهذا هو السبب الذي يجعلنا نقرأ في التاريخ ونسمع من الأساطير أسماء الفاتحين، دون أن نعلم أحياناً من أي جنس، أو أرض هم؟ فنسمع ـ مثلاً ـ عن فتوحات الإسكندر وغزوات (نارمر) واجتياح هولاكو، وقمبيز. . وأيضاً حروب هانيبال وحروب

نابليون. أما اليوم فإن السياسة العامة، أصبح من حق وواجب المواطنين كافة أن يقرروها ويوجهوها. وعليه حرم القادة العسكريون والحكام من صلاحية احتكار قضايا السوق، وتقرير مصائر الجيوش والأوطان..

وهذا في حد ذاته انقلاب خطير في السوق، يحتم على العسكريين أن يكونوا أوسع أفقاً من ذي قبل.. وأعلى كفاءة عما كان مطلوباً من العسكري فيما قبل القرن العشرين. فالجيوش الوطنية اليوم انتفت عنها نهائياً صفة الإرتزاق المعهودة في الجيوش الأجيرة، وجندي اليوم له قطعة في الأرض، وأسرة في الشعب، وهو عضو في المجلس النيابي، والأخطر من ذلك أن له حق الرفض والقبول كمواطن أولاً، وهذا لم يكن موجوداً فيما مضى.

فالجندي الأمريكي رفض القتال في فيتنام، والجندي العربي يطلب القتال في فلسطين، كل ذلك وضع الحكومات في مأزق فيما يخص قضية السوق.

وقد ارتبط السوق ـ كلية ـ بالإقتصاد في الوقت الحاضر، فتكاليف الأسلحة الحديثة، صنعاً، وشراء، وصيانةً.. بالغة الإرتفاع سعراً، وزيادة حاجات الفرد زيادة مجنونة ضاعفت من تموينه وإمداده، فعلى العسكريين اليوم أن يدرسوا الإقتصاد وسياسته، كما يدرسون العلوم العسكرية البحتة، وأن يقبلوا بمشاركة رجال الإقتصاد والسياسة والإجتماع لهم في شؤون الحرب إذا أرادوا أن يكسبوا النصر أو يتحاشوا الهزيمة. وقد تكون بعض الهزائم العسكرية في الوقت الحاضر التي لحقت ببعض الدول مرجعها إلى تطبيق السوق القديم الذي هو خال من المضامين المذكورة.

لقد وضع العسكريون سابقاً قواعد للسوق ظنوا أنها ثابتة، وكانت تحفظ كما تحفظ الآن مبادىء الحرب. لقد وضع (كارل فون) القائد البروسي في القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر ثلاث قواعد وهي: تجميع القوى،

عمل القوى ضد القوى، الحل الحاسم عن طريق المعركة. كما قال (ماهان) الضابط البحري الأمريكي عام 1941 .. بسوقية إمكان الحصول على نتيجة حاسمة بفضل السيطرة البحرية. وهناك الجغرافي (كيندر) عام 1947 م الذي يؤمن بسوقية التفوق البري. أما القائد الإيطالي (جوليو) فيقول بأهمية التفوق الجوي، دونما حاجة لجيوش وأساطيل بحرية.

والقائد الفرنسي (فوش) قال بالإقتصاد بالقوة، وحرية العمل. ثم كانت هناك حروب نابليون وهانيبال.. وانطلاقاً من تلك القواعد النظرية تكونت مدارس في السوق: فتتلمذ على يد (فون) غالبية القادة الألمان، وعلى (فوش) معظم قادة الحلفاء سابقاً، وأصبحت مبادىء نابليون هي مبادىء الحرب الثابتة منذ بداية القرن الثامن عشر. ومن المشكوك فيه أن تكون نظريات القرون السابقة والتي تتضمن من ضمن ما تتضمن من نوادر (مخطط أشليفن) الذي وضعه عام 1905 ويقولون أن مولتكه طبقه عام 1914 م. في معركة: المارن، أقول من المشكوك فيه أن تكون تلك النظريات صالحة في يومنا هذا بعد أن انتقل العالم في حقبة لاحقة من عصر حروب البنادق العادية والسفن الشراعية.. والطائرات البطيئة والمشاة الراجلة ـ إلى عصر البنادق الذاتية، والرشاشة، والطائرات السابقة للصوت.. والغواصات الذرية بل وقناصة الغواصات، والصواريخ عابرة القارات المتعددة الرؤوس، والصواريخ المضادة للصواريخ.. وإذا تتبعنا تطور وسائط الحروب، وتاريخ الحروب فإننا نشاهد عدم ثبات السوق، وأن ليس ثمة مبادىء سرمدية أمام التطور المتلاحق في صنع الأسلحة.. وبشاعة الإختراع. ولقد كانت السوقية حتى الحرب العالمية الثانية، وهي سوقية الثبات وحرب الخنادق، وصمود القلعة أمام المدفع، والقبوع خلف البحيرات وحتى الجداول والأنهار.

كان ذلك تحت ظاهرة الجبهة المتواصلة من الدفاعات. أما الآن فإن خطوط المواجهة ليست ثابتة، بل متحركة، دائمة التغير.. تعتمد على

قواعد جوية مطمورة. . وأرضية متبدلة. . ومشاة محمولة. كل ذلك خلف أنطقة دفاعية من شاشات المراقبة، والأقمار الصناعية. والصواريـخ والطيران. وإن كانت سوقية الهجوم يومئذٍ تبنى على الفائقية العددية، وعلى السد السوقي من البشر، وحسابات التموين من أرض العدو. . وعلى الحصول على النصر بالهجوم المباشر. أو بتأجيل العمليات حتى يتفكك العدو معنوياً وفقاً لقواعد (المناورة بالإعياء)، فقد استبدل بها اليوم الوسائط الحربية وإعداد الضربات الإبتدائية في الوقت المناسب، فوق الهدف المناسب. . وعليه، انقلبت سوقية التنفيذ إلى سوقية التحضير، والبحث عن العدو، إلى البحث عن نقاط ارتكازه ومنطلقاته. .

نَظَرِيَّات قَدِيمَة مَا زلنَا مَخدُوعين بهَا

(1) نظرية كارل فون البروسي

عاش كارل فون في القرن الثامن عشر (1780 ـ 1831) وسبقت الإشارة إلى أثره في العسكرية الألمانية المنتحرة. ولنناقش الآن القواعد الثلاث التي وضعها وآمن بها تلاميذه، ثم منتهاها:

أ ـ الحل الحاسم عن طريق المعركة

بما أن جيوش العالم على أيام كارل فون كانت متقاربة في درجة التسليح والتنظيم، وهي مشاة مجردة، ليس لها من الآلية سوى ذيول من العربات التي تجرها الحيوانات، وأنه من الصعوبة بمكان القيام بالضرب المركب خلف خطوط العدو، أو التطويق السريع لتدمير الأهداف الحيوية له حيث لا يوجد إنزال جوي.. أو رؤوس موجهة، أو طيران سوقي، بالإضافة إلى هذا فإن الجيش البروسي كان أقوى جيوش العالم يومئذ.. وكانت بروسيا تمثل مجتمعاً عسكرياً متميزاً.. كل ذلك جعل (فون) يعتقد ـ وهو على حق في ذلك الزمان ـ أن البحث عن المعركة، عن العدو ذاته، وبالهجوم المباشر، هو السبيل للوصول إلى النصر، حيث تلتحم المشاة مع المشاة بالمواجهة.. وحيث تتغلب القوة العددية صفاً بعد صف على عوامل الإنهاك والتدمير.

ومن هنا نرى أن هذه العقيدة العسكرية البروسية لا تصلح للتطبيق

الآن أمام التحول الهائل في وسائط الحرب التي يملكها الطرفان ـ والتي من جرائها تخلت الجيوش الحديثة عن الهجوم المباشر. . والتجأت إلى السوقية غير المباشرة، حيث الحيلولة دون الخسائر المحققة إذا ما جوبهت القطعات بنيران تدميرية مباشرة معادية، والتي لا تكون للقيمة العددية فائدة أمامها. . وفيها يصعب على الطرفين إحراز النصر، أو الوصول إلى الحل الحاسم. . بل قاعدة الحل الحاسم عن طريق المعركة أصبحت انتحاراً ليس إلا، ولا يجرؤ أحد على جر جنوده إليها إلا القائد الأحمق.

ب ـ تجميع القوى

أما هذه القاعدة فهي تستمد مبرراتها من القاعدة السابقة. . أي أن الحل الحاسم عن طريق المعركة لا يتم إلا بالحشد الكثيف للبشر والمعدات، بيد أنه استعيض الآن عن الحشد الكمي بالتحضير النوعي. . وعن التجميع للتغلب على العدو، بالتخمين لتفادي الضربات، وتوجيهها على نقاط التمفصل الحيوية بوسائط حربية حديثة، لا تحتاج إلا لبضعة من الأشخاص لاستعمالها.

جـ ـ عمل القوى ضد القوى

هذه القاعدة ـ أيضاً ـ لا تعدو كونها تحصيل الحاصل للقاعدتين السابقتين، فحيث الحشد. . والحصول على الحل عن طريق المعركة فإن هذا كله يجري داخل إطار عمل القوى ضد القوى.

وهكذا انتحرت ألمانية الهتلرية بكل حماقة وتدهور. . تطبيقاً لقواعد كارل فون السوقية القديمة في عصر تغير فيه الكثير من وسائل الحرب. فالحرب العالمية الثانية وهي أحدث حرب واسعة، جربت فيها أحدث اختراعات النصف الأول من القرن العشرين الحربية. . وكان من الحصافة وضع الخطط السوقية، وفقاً لوسائلها الحديثة، وعليه. . فإنه من الخطأ

الجري وراء آثار معارك الألمان في الحربين العالميتين والإعجاب باحتدام القتال المباشر، وحمي وطيس النزال تحت نقع الدروع الصائلة في وضح النهار، إذا كان هذا يثير الحماس فإنه لا يثير الإهتمام.

(2) مدرسة فوش

كان فوش ـ الذي أثرت نظرياته ـ كما سبق القول ـ على قادة الحلفاء، الذين تدرس خططهم ومعاركهم أثناء الحرب العالمية الثانية في الكليات العسكرية.. كان يؤمن بمبدأ الإقتصاد في القوة وحرية العمل.. ومبدأ الإقتصاد في القوة أحد مبادىء الحرب، وهو قد انقلب الآن رأساً على عقب، وسوف يأتي الحديث عنه في فصل مبادىء الحرب.. وتكفي هنا الإشارة فقط.. وإذا كانت حرية العمل صالحة إلى يومنا هذا بالرغم من التحديات التي تفرضها عليها طبيعة وسائط الحرب ووسائله الحديثة... فإن نظرية فوش المبنية على هاتين القاعدتين قد انهار نصفها تماماً. حيث ألغي الآن مبدأ الإقتصاد في القوة إلغاء كاملاً.

(3) نظريات نابليون وحروبه

إنه لمن المضحك حقاً، والمخجل، أن تظل نظريات ومبادىء نابليون مرعية، بل ومطبقة في حروب اليوم، وأن تدرس بكل عناية وتقديس في الكليات العسكرية!! فإذا كان نابليون هذا قائداً عظيماً، وفاتحاً هماماً.. فإن ذلك لا يعني أن حروب القرن السابع عشر، والثامن عشر، هي حروب القرن العشرين.. ولا يعني أن جغرافية أوروبا وتضاريسها والتي نبغ فيها نابليون هي جغرافية وتضاريس بقية الكرة الأرضية!! ولا يكون الحلف الذي تصدى له نابليون، وعلى رأسه النمسا يومئذٍ، هو نفس الأحلاف التي تنتشر قواعدها، وتحيط أنطقتها بقارات العالم اليوم.. كما أن السلاح الذي حارب به نابليون لا يساوي شيئاً على الإطلاق أمام الأسلحة الجبارة التي تمتلكها جيوش العالم في الوقت الحاضر.

فجميع العوامل السالفة الذكر تترتب عليها سوقية معينة، وتتطلب خططاً بذاتها. . وتخلق ظروف حرب تختلف بكل تأكيد عن عوامل أخرى تنشأ في جغرافية غير تلك. . وضد عدو غير ذلك. . وبسلاح لا يشبه ما عداه، ومن هنا يبدو واضحاً خطأ التعميم والأخذ بدون عطاء. . وهو التعويض بسالف الحروب لفقر الجعبة العسكرية، ولقصور ملكة التصور، والعجز عن الإبداع، ثم لانعدام الجدية الخلاقة. . وللوقوع في السلبيات!! ألم يكن نابليون هو الذي هزم في إسبانيا، وخسر فيها نصف مليون رجل نتيجة لأخطائه السوقية، وعدم تقديره لتضاريس الأرض الإسبانية من ناحية. . وإغفاله نفسية العدو من ناحية أخرى؟!. . فقد كان الشعب الإسباني ذا عاطفة دينية وقومية متأججة. . وكان نابليون لا يعرف هذا فدفع الثمن غالياً ومراً، ونابليون أيضاً هو الذي فقد 170,000 قتيل في حملته الفاشلة على روسيا عام 1812 م، وعلينا أن نعلم أن فن نابليون الحربي أخذه من معلميه بورسيه وجيبير اللذين عاش أولهما في النصف الأول من القرن الثامن عشر، والثاني في النصف الثاني منه.

وقد أخذ نابليون من بورسيه مبدأ العمل على تشتيت قوات العدو المركزة. . أما الآن فقد أصبح العدو يشتت قواته من لدنه، ومن الغباء حشد القطاعات العسكرية في الحرب الحديثة، حيث تكون هدفاً واهناً أمام أي ضربة. أما الأوجه الإيجابية في حروب نابليون فناجمة عن كونها حرباً ثورية هبت من فرنسا الثورة لتكسح النظم الأوروبية السياسية، والإجتماعية الملكية، مدعية الحق في ذلك. وكثيراً ما قوبلت جيوش فرنسا بالترحيب في مواطن عدة من أوروبا. . وأن أعداء فرنسا أثناء تلك الحروب لم يكن لهم هدف واضح في حروبهم لها. . اللهم إلا الحقد أو الغيظ، وخاصة بعد إعدام لويس السادس عشر وزوجته مريم أنطوانيت. . كما أنه ليس لهم عقيدة مشتركة، أو نظم عسكرية موحدة، وربما يعزى نجاحه في إيطاليا إلى أنه من أصل إيطالي، ولذا فهو ليس عدواً للطليان، بل ابنهم ومنقذهم،

وبالتالي. . أليس نابليون هو الذي دارت عليه دائرة الحروب في النهاية، وأوقع فرنسا تحت طائلة الإحتلال العسكري؟.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الكثير من العسكريـين وقع في خطأ التفسير المغلوط لما قاله أو فعله نابليون. ومن أمثلة ذلك: أنه قال بمهاجمة نقطة (التمفصل) التي فسرت على أنها تحطيم النقطة القوية للعدو ليسهل بالتالي تدمير بقية نقاطه الأضعف. وهو لا يقصد بذلك النقطة القوية كما شاع لدى الغسكريـين، وإنما المقصود بنقطة التمفصل هي النقطة الحساسة والحيوية في ذات الوقت، وهي ـ بهذا التعريف ـ ليست بالقوية التي يؤدي الهجوم عليها إلى تدمير قوة المهاجم، ولا هي بالضعيفة التي لا أهمية سوقية أو تعبوية لها.

والكثير من معارك نابليون الشهيرة يعترف المؤرخون أن النصر فيها كان نتيجة للحظ لا للعبقرية. . كما حدث عند قلعة (سيفا) عام 1796 . وقد كان مبدأ الإقتصاد في القوة يسيطر تماماً على فكر نابليون، وقد ذكرت، سابقاً، وسأذكر، كيف أن هذا المبدأ قد ألغي في الحرب الحديثة، وكانت خططه التعبوية تقوم على تركيز النيران على نقطة رئيسية بقصد تدميرها، وهذا أسلوب تقتضيه الحرب القديمة المتميزة بالثبات والحشد، وعدم قابلية المرونة والسرعة، وخاصة (حرب القلعة والمدفع) التي استبدلت بهما الدبابة والطائرة المتحركتان.

أما ما ذكر عن هذه النظرية فلا يقلل من شأن نابليون وعبقريته الفذة، أو ينسف حقيقة منشأ مبادئه في الحرب، ولكنه يسلبها الحياة هذه الأيام، ويثبت أنها لم تعد قابلة للتطبيق، حيث كانت صالحة له في عصر لا يعرف الهابطين بالمظلات خلف جبهات العدو، ولا يعرف القوات المحمولة جواً ولا يعرف الضفادع البشرية، ولا يعرف الأسلحة الرشاشة والصاروخية الموجهة، ولا شاشات المراقبة الدفاعية، والجسور المتحركة، والهاتف اللاسلكي. وإنه لمن المؤسف جداً أن نحشو أدمغتنا في الكليات والمدارس

العسكرية بالتراث العسكري دون العلم الحربي!! . وأن نحفظ دون أن نبدع، ونأخذ من غير عطاء!! وإذا كانت دراسة القديم مطلوبة لذاتها، وإنها الحصن الحصين من كتاب نابليون المبين، فالأولى بنا ـ معشر العرب ـ أن ندرس تراثنا الأدبي والحربي كمعارك عنترة بن شداد. . وحروب خالد ابن الوليد، وحملات موسى بن نصير، وطارق بن زياد. . وأيضاً حرب هانيبال ضد روما!! وعن دراسة فإني أؤكد أن عبقرية خالد تفوق عبقرية (روميل) وفن هانيبال العربي الأصل لا يضاهيه فن نابليون الطلياني الأصل، ولا أريد أن أدخل في الأنساب أو الأديان في هذه الدراسة العسكرية البحتة، ولكني ألاحظ أن العسكريـين لدينا قد سيطرت عليهم فكرة تفوق القائد الأبيض، وهي أسطورة تسللت إلى الذهن العسكري تحت أجهزة الإيحاء المتعمد في ظل احتلال دول الغرب لأوطاننا، وتحت شعار إذلال الشرقي. وسيطرة الغربي. . وهي فكرة تنطلق من منطلق عرقي وديني مهما أسدلت على جسدها القبيح من ستائر التضليل في مناهج العلوم العسكرية.

وأخيراً أقدم هذه الفقرة من كتاب (مدخل إلى الإستراتيجية العسكرية) (لاندريه بوفر) حيث يقـول «لقد استقى الكثيـرون من استراتيجية نابليون معلومات خاطئة، لأنهم رأوا في هذه المناورات مرجعاً لقواعد لا تقبل الجدل، مع أنها لم تكن قابلة للتطبيق في الحقيقة إلا في الظروف الموضوعية السائدة آنذاك».

(4) روميل الذي لا يخطىء

أما روميل القائد الألماني الذي أصبح شبحاً يحجب ما بعده من انقلاب خطير في السوق والتعبية ومبادىء الحرب فهوأيضاً عبقرية عسكرية، ولكنها ليست نادرة ولا فذة كما كنا نلقن في الكليات العسكرية (الملكية)، بيد أني أرى أن طرح مثل هذا النقاش يجلب بعضاً من النقد السطحي الذي

لا أحبه. وعليه أكتفي بأربع نقاط هامة توضح الخطأ السوقي والتعبوي الذي كان يقع فيه روميل حتى يوصله إلى درجة الغباء والحماقة:

أ - إن الغرض السوقي الذي أرسل من أجله روميل إلى إفريقيا هو مساعدة الطليان في الدفاع عن طرابلس فقط، وهو أمر نعرفه نحن العسكريين، ولكن الشيء الذي كان يجب أن نعرفه أيضاً هو. . . ماذا ترتب على سوقية روميل الهجومية وتوغله شرقاً حتى عنق زجاجة العلمين؟! ألم ينحدر روميل في العلمين ويجرجر وراءه ذيول الخسائر والخذلان حتى أفول نجمه؟! ألا يكون السبب هو عدم صواب في تقدير الموقف السوقي العام؟! ألم يكن خطأ سوقياً فادحاً، وقصوراً في التصور، وفي سبق النظر الذي ينبغي أن يمتاز به القائد؟، من يدري. . ؟ لعل الهزيمة لم تكن لتلحق به - حتى يسلم نفسه أو يموت في حالة أفضل بعد اندحار ألمانيا نفسها في الجبهة الشرقية - لو أنه تجنب سوقية الهجوم. إن الدفاع عن طرابلس كانت له عدة مزايا في نظري، منها: أنه أقصر مواصلات مع البحر وإيطاليا وألمانيا، وأنه يمكنه عند الضرورة أن ينسحب إلى إيطاليا، وخاصة عند نزول القوات الأميركية على سواحل المغرب والجزائر أما الدخول في معارك مريرة وخاسرة سجالاً من العقيلة حتى العلمين، ثم الإنسحاب عندما وقعت الواقعة المحتومة على طول الساحل الطويل، ثم الحرب في جبهتين، ومن ثم - وبعد فوات الأوان - النكوص على خط الرجعة الذي أصبح ميئوساً منه. . فكان عليه أن يحسب حساب تطور الحرب، وان قوات حليفة للعدو قد تأتي على مؤخرته، وأنه بين (فكي كماشة) وكان عليه أن يتصور مسرح العمليات الذي أغرقته في ثناياه معارك تعبوية، في ظاهرها النصر، وباطنها الخسارة - يتصور أن هذا المسرح الكبير هو عبارة عن زجاجة جانبها الأيمن الصحراء، وأرتالها. . وجانبها الأيسر البحر ومخاطره، أما قاعها فهو المحيط وقوات معادية، وفوهتها مسدودة

بأحكام عند العلمين. هكذا كان روميل يصول ويجول داخل تلك القارورة، وكأنه فراشة في الزجاجة، لا ثعلب في الصحراء!

ب ـ لقد كانت حرب شمال إفريقيا من الناحية السوقية عبارة عن كسب للوقت ليس إلا، وذلك حتى لا تتمكن بريطانيا من تهديد إيطاليا والبلقان من هناك. بيد أن خطأ روميل السوقي السالف الذكر، وإحرازه للإنتصارات المؤقتة، والتمادي وراءها، بالإضافة إلى النجاح الزائف الذي أحرزه الجيش الألماني في القفقاس عام 1942 م كل ذلك أملى على قيادة المحور تغيير سوقيتها، وشجعها تقدم روميل في زحفه شرقاً إلى توهم القيام بحركة كماشة عظيمة من مصر والقفقاس، في الوقت الذي كان روميل أضعف من أن يكون أحد فكي تلك الكماشة، وهكذا قاد الخطأ في تقدير الموقف العام إلى الهزيمة القاتلة!

جـ ـ لقد كانت خطة روميل أثناء هجومه على خط الغزالة موضع نقد لدى غالبية العسكريين، إذ أنها ترتكز على روح المقامرة أكثر من ارتكازها على المنطق العسكري وذهنيته المرنة، فعملية الزج بجميع قواته مع مؤونة ثلاثة أيام فقط كان إجراء يكفل لها الدمار الكامل، وقد نفد بالفعل الوقود، وطوقه الفيلق الإفريقي في اليوم الثالث للهجوم.

د ـ كما كان انسحاب روميل من العلمين مدعاة للنقد أيضاً، فعلاوة على سرعة انسحابه لم يقم بأي نوع من أنواع التعويق والعرقلة للعدو، ويعود ذلك ـ حسبما يقول كيسلرنج ـ إلى الإنهيار النفسي، والتدهور الصحي لدى روميل. ويوجه النقد أيضاً إلى روميل في وقوفه عند البويرات، وعدم صموده في خط الخمس ـ ترهونة.. فالأول ضعيف ودافع فيه، والثاني قوي ولم يستفد منه!

فالخطأ الأول والثاني من الأخطاء السوقية الكبيرة لروميل. أما الثالث والرابع فهما من الأخطاء التعبوية، وجميعها مساوىء تفتح عيوننا على الحقيقة

التي طمستها عنا دعاية الرجل الأبيض، وسيطرته وتعصبه القومي المبالغ فيه.

وبعد هذه المعلومات في نظريات السوق ومدارسه... أضع أمام العسكريين الظواهر الخطيرة التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ السوق، والتي حتمت ضرورة إعادة النظر في مفاهيمنا السوقية، واستلزمت غسل الدماغ مما حشي به في الكليات العسكرية من أفكار تقليدية عفا عليها الزمن، وإستخفها الفكر العسكري المعاصر. ومن تلك الظواهر:

انقِسَامُ العَالَم إلىَ مُعَسْكرَيْن

إن هذه الظاهرة لم تكن واضحة من قبل بهذه الصورة، وهي من نتائج الحرب العالمية الثانية، ولذا تعد ظاهرة جديدة، وحيث أنها من نتاج الحرب فهي تتصل بالسوق الحربي أوثق الإتصال،إن هذا الموقف خلق ظروفاً غاية في الخطورة على جميع دول العالم، فبالنسبة لروسيا وأمريكا وجدتا نفسيهما وجهاً لوجه في قلب القارة الأوروبية، وأقتسمتا أرضاً ليست لهما، وأصبحتا تعيشان منذ نهاية الحرب في حالة مواجهة مستمرة، وهذه الحال تطلبت ـ بالضرورة ـ حشد الإمكانيات اللازمة لخدمة الموقف. . وجرى تكالب رهيب لجمع الأنصار، وتثبيت الأقدام تارة بالمال، وتارة بالسلاح!! وأصبح على (الدول الأخرى) أن تحدد موقفها: اما شرقية، واما غربية. . طوعاً أو كرهاً. . وانتاب شعوب الأرض الصغيرة ذعر شديد وخوف جارف دفع للإرتماء في أحضان أحذ المعسكرين، فراراً من الموت، وخلاصاً من القلق، وانبرت دول أخرى تحذر من مغبة هذا السبيل وتعيب المسعى. . وتسهيلاً لمشكلة الإنحياز خلقت أحلاف هنا وهناك بأسماء مناطق محلية، كحلف بغداد، وحلف جنوب شرق آسيا، وحلف مانيلا، والحزام الآسيوي، وحلف وارسو، ونشأ عن ذلك سوقية جديدة موحدة العناصر السياسية والإقتصادية والعسكرية، وأصبح من الصعوبة بمكان التفكير في السوق الحربي منفصلاً عن السوق السياسي والإقتصادي والإجتماعي أيضاً. وكانت أبرز المواقف والمشكلات السوقية المستحدثة هي:

1 ـ مشكلة الأمن الأوروبي، وعبث المعسكرين بمصائر (الدول الأخرى) لتجنب تلك المشكلة قدر الإمكان.

2 ـ ظهور حلفي شمال الأطلنطي ووارسو، وهيمنة أمريكا وروسيا على دول كثيرة بواسطتهما. كما استخدمت قوات هذين الحلفين ضد (الدول الأخرى) وترتب على ذلك أن الدول غير الكبرى وجدت نفسها في مواجهة الدول الكبرى بأحلافها الجبارة، رغم أن الحرب ليست معها مباشرة، وهو ـ بالتالي ـ أوجد شعور البحث عن التكتل الرادع في وحدات أكبر، خوفاً من الإجتياح أو التغلب.

3 ـ سباق التسلح الذي ترتب عليه كذلك وضع اليد على مواطن الثروة ووقوع (الدول الأخرى) تحت سلطان الإحتكارات العالمية.

والشيء الذي يدركه العسكريون قبل غيرهم هو استحالة الإستقلال (للدول القزمية) وهو أمر بالغ الخطورة، وتتصاعد خشيته، وتتأكد عاماً بعد عام... فالثروة لا تكفي إطلاقاً بدون قوة بشرية قادرة على استغلالها وحمايتها، بل تكون هدفاً مغرياً وخطراً على أرضها، والقوة البشرية وحدها لم تعد تكفي دون تقدم تقني، وإذا كان التقدم التقني والعدد القليل يؤمنان العيش الكريم في فترة مضت فإنهما اليوم غير كافيـين بتاتاً ـ ونظرة للأرقام تجعلنا نستخف بجدوى (الكيانات الصغيرة) التي تبدو أقزاماً أمام العمالقة فدولة مثل الولايات المتحدة الأمريكية عندها الآن 2,5 مليون رجل تحت السلاح، علاوة على 27 فرقة إحتياطية وميزانية قواتها المسلحة بلغت ما يقارب 83 بليون دولار ـ وتمتلك حوالي **41** غواصة ذرية تحمل ما يقرب من 656 صاروخاً ذرياً من نوع (بوسيدن)، و(بولاريس) بالإضافة إلى عدد قنابلها الذرية.

وجمهوريات الإتحاد السوفيـيتي تمتلك الآن من القوات ما يقارب 4 ملايـين رجل تحت السلاح، وميزانية قواتها بلغت ما يقارب 17,9 بليون

روبل ـ وتمتلك آلاف الطائرات الحربية، كما أنها تمتلك أكثر من 1500 صاروخ عابر للقارات. وقد بلغ عدد منشآت البحث العلمي 4200 معهد، بها نصف مليون عالم! كما بلغ عدد العقول الآلية في أمريكا (40,000) عقل آلي.

هذا في ميدان التقدم التقني، وميزانية الجيوش، وحجم بعض القوات العاملة، ناهيك عن الإحتياطي السوقي الذي يقدر لحلف وارسو بحوالي 186 فرقة، وحلف شمال الأطلسي بحوالي 69 فرقة. أما الصين فهي قوة أخرى نامية تزيد بثقلها العسكري والبشري من عبء مسؤولية التخطيط السوقي العالمي، فهي تضع مليونين وثلاثة أرباع المليون تحت السلاح تدعمهم قوة جوية قرابة 4000 طائرة، ويشكل احتياطيها العام 12 مليون جندي!!

إن هذه الأرقام تبين بوضوح انقلاب الميزان السوقي العالمي رأساً على عقب، وتوضح ضرورة إعادة النظر في إمكانيات (الدول الأخرى) وإيجاد وسائل الدفاع عن الحياة، على ضوء ما طرأ على الموقف الدولي من تبدل مخيف بعد الحرب العالمية الثانية..

ظهُور الأسْلحَة الذَرّيّة

لم يدخل في حساب السوق هذا السلاح المهلك قبل أغسطس 1945 . وحيث أن هذا التاريخ هو نهاية الحرب العالمية الثانية فإن الخطط السوقية لم تتضمن له اعتباراً قبل ذلك التاريخ، ومن ثم انقلب الفكر السوقي وتبدل فجأة من جراء استخدام قنبلتين ذريتين فوق اليابان. لقد أصبح السلاح الذري بعدئذ من كبرى معضلات السوق السياسي والإقتصادي والحربي، لقد مرت خمس سنوات من القتال المرير على أكبر رقعة من الأرض، ومع هذا لم تفلح كافة الأسلحة التقليدية في كبح جماح أي من أطراف الصراع الدموي الرهيب، رغمًا عن التضحيات الباهظة التي جاد بها الجميع لإنهاء الحرب أو لكسبها، وفجأة استسلمت إحدى إمبراطوريات العالم الكبرى،فجثت اليابان على ركبتيها ذليلة صاغرة يوم 14 من أغسطس 1945 .

وبعد أربعة أيام فقط من إلقاء القنبلة الثانية انتهت الحرب!! وهكذا وضع هذا السلاح السوقي الجديد نهاية لمجزرة عالمية قتل فيها ما يزيد على 35 مليوناً من عسكريـين ومدنيـين، وأنفق فيها أيضاً أكثر من ألف مليار دولار.

ولنقل، مرة ثانية: إن المشكلة تنيخ بكلكها على (الدول القزمية) والتي لم يعد لها اعتبار بعد الآن. وبذلك أصبحت الدول الصغيرة ذات الملايـين القليلة، والمساحة الضيقة بيوتاً من القشور، وجيوشها قصاصات

من الورق، إذ لا يمكن لها أن تستوعب ضربة ذرية واحدة أو تتحملها، بل تلك كفيلة بإخراجها فوراً من المعركة، أو من الخريطة على الإطلاق. وإن الدراسات الجغرافية السوقية ومناوراتها التي تتلقاها في (الكليات العسكرية) ونجتهد لحفظها ـ وهي مبنية على أسس من الأسلحة التقليدية، والسوق القديم ـ أصبحت مضيعة للوقت، وحشوا للدماغ بالقشور أكثر منها أي شيء آخر.

إن عدم القدرة على امتلاك هذا السلاح لا يعني الإشاحة عنه وتجاهله، ثم الغوص بالرأس في الرمل خوفاً منه! بل إن دراسة الوقاية من القنابل الذرية: التعبوي منها والسوقي لا تقل شأناً عن دراسة استخدامها ذاته. فلا مندوحة إذن ـ والحالة هذه ـ من إعادة بناء المفهوم السوقي على أساس من حساب وجود السلاح الذري في المعركة، وأنه قد يستخدم لإنهاء حرب أو لكسبها. . أو بضربات تعبوية لشل مرافق حيوية اقتصادية وحربية معينة.

إن هذه الحسابات لتؤثر بالضرورة على جهاز التنظيم العسكري، وتسليح القوات، وكيفية التدريب، كما أنها تؤثر في خطة الإنتاج وتوزيع مراكزه.

ظَاهِرَةُ الحَرْبِ الشَّامِلَة

لا زلنا حتى الآن نهتم بساحة العمليات المحتملة، وجمع المعلومات عنها. . دارسين للتضاريس، وخطوط التقريب ومحاور التقدم الممكنة. . ناظرين للحدود من حيث التحدب والتقعر، وما تحويه الجبهة من موانع طبيعية حتى الجداول والبحيرات والأنهار، ملتمسين في ذلك سبل الحماية والتستر ، ولا جناح هنا من ذكر ما قاله الفريق (أندريه بوفر) في هذا الصدد وهو: «لقد كنست الإستراتيجية الشاملة للعصر الذري كل المفاهيم الإستراتيجية للقرن التاسع عشر، وبخاصة مدرسة كلوزفيتس» ـ إن ظاهرة الحرب الشاملة جاءت نتيجة حتمية للوسائل السوقية الحديثة ووسائطها الحربية المتطورة من ذرة وطيران سوقي، وشاشات مراقبة، وقذائف موجهة. . . وما يصحب ذلك من نار كثيفة لها قدرة متحولة فائقة، ذات أبعاد ثلاثة: أخطرها العمق وشدة التأثير. وشمول الحرب الحديثة يعني تعرض كل أراضي الهجوم للتغطية بالنيران، والتدمير الشامل مضافاً إلى عدم اقتصارها فقط على القوات المسلحة النظامية.

إن القوة المعنوية والتركيب الطبقي للمجتمع، والظروف الإجتماعية السائدة فيه، ومكاسب الإنتاج الذاتي، والطاقة الإقتصادية، ونوعية النظام السياسي وأفراد الشعب. . . كلها أصبحت أدوات أساسية في القتال، ولا مناص في احتمالات الصدام القادم من وقوع كافة المنشآت العسكرية، والمدنية، وأيضاً السكان، داخل المنطقة السوقية المضروبة. فبالرغم من تقدم وسائل الدفاع السوقي حيث أصبحت أنطقة عديدة من الشبكات،

ووسائل الإعتراض الأخرى المختلفة رغمًا عن ذلك، فإنه تبين بعمليات الإحصاء الدقيقة أن قرابة 30 % من قوة الهجوم تستطيع الإفلات لتصل ـ بالتالي ـ إلى أهدافها، التي أصبحت ملكاً لكثير من دول العالم، خلافاً لروسيا وأمريكا. . . إن ذلك قد غير سوقية الدفاع والهجوم تغييراً كاملاً، فلم تعد الدراسة الآن تدور حول طبيعة أرض الحركات، أو شكل الحدود، أو مناطق الإجتماع والتحشد، كما كنا نتعلم، بل الدراسة الآن تجري حول استنتاج وإبداع نظرية سوقية جديدة تتناول بالبحث والموازنة وسائل الصد والرد، وصولاً إلى الردع الكافي للعدو. وهي عقيدة يكاد يتبناها حلف شمال الأطلسي لولا تعثره في الآونة الأخيرة. ويبدو أنها مستوحاة من أفكار (ليدل هارت) المفكر العسكري الكبير. وهو أسلوب مرن متدرج يبدأ بالدعاية، وينتهي بمرحلة التشنج، حيث تدوس جميع الأصابع على جميع الأزرار.

وأهم عناصر الحرب الشاملة هي:

(1) وسائل الإستطلاع الحديثة

لقد أدى ظهور طائرات الإستطلاع السوقي المزودة بالأجهزة الإلكترونية، والأقمار الصناعية، إلى معرفة خطيرة للأهداف السوقية المحتملة. وبالرغم من إمكانية تمويه وإخفاء بعض الأهداف العسكرية إلى حد ما، فإن الأهداف المدنية لا يتأتى لها ذلك. ومن هنا أصبحت معرفة هذه الأهداف من قبل العدو هي إحدى محاذير الدفاع السوقي والعكس لدى الطرف الآخر.

(2) القوة التدميرية للأسلحة الحديثة

بالنظر إلى قوة التدمير للأسلحة الحديثة فإنه بات من المستحيل التحكم ـ تعبوياً ـ في مساحة المنطقة المضروبة، وهذه القوة مصحوبة بمدى

بعيد يصل إلى آلاف الأميال في أقل فسحة زمنية، فكيف يجوز لنا بعد الآن التحدث عن الجبهة، وساحة العمليات، ومحاور التقدم إذا ما انطلقت القذائف، والطائرات، والزوارق، والغواصات، التي تفوق سرعتها عشرات أضعاف سرعة وسائط الحرب القديمة، واجتازت مسافات كبيرة جداً في مدة قصيرة؟!! وإذا استبعدنا القذائف الموجهة فإنه لا يمكن لنا استبعاد القاذفات من طراز (ف 111) الأمريكية التي تستطيع أن تقطع مسافة 2600 كم في الساعة، وكذا القاذفة الأمريكية الحديثة (ب 1) التي تستطيع أن تقطع مسافة 2200 كم في الساعة والتي تمتاز بطول المدى الذي يبلغ 9600 كم دون التزود بالوقود، وكذا القاذفة الروسية (باك فاير) التي تستطيع أن تقطع مسافة 2600 كم في الساعة، والتي يبلغ مداها 7400 كم، وتي يو 22 القاذفة السوقية. وحتى لو توقعنا حرباً تقليدية فإننا لن نخضع لمقاييس السوق القديم.. فقد بات في الإمكان تجاوز كافة العوارض الطبيعية والاصطناعية، وإهمال شكل الحدود، وذلك بعمليات إنزال مظلي خفيف وثقيل، أو بقوات محمولة جواً في نفس الوقت، وانه من الميسور إنزال لواء مجحفل في وقت قدره 15 دقيقة فقط وانه لحسن الحظ، أو لسوئه، صار من الممكن القيام بهجوم سوقي بأي كثافة لشل قوة الهجوم السوقي المقابل إن لم يكن لكنس مناطق الإنزال، ومن ثم الهبوط بقوات مدرعة تتسرب بسرعة تفوق المشاة، وبحماية أقوى، وليس من الصعب عندئذ أن تقذف علب الفولاذ المتحركة ما بداخلها من بشر لمسك الأرض.

(3) قيام الجيش الشعبي

قلت في الفصل الثاني ـ في صدد تطور السوق ـ إن الجيوش الآن أصبحت جيوشاً وطنية لا مستأجرة، وذكرت عناصر القتال في الحديث عن شمول الحرب حيث التعرض للمجتمع ونظمه وموقفه منها، كل ذلك جعل

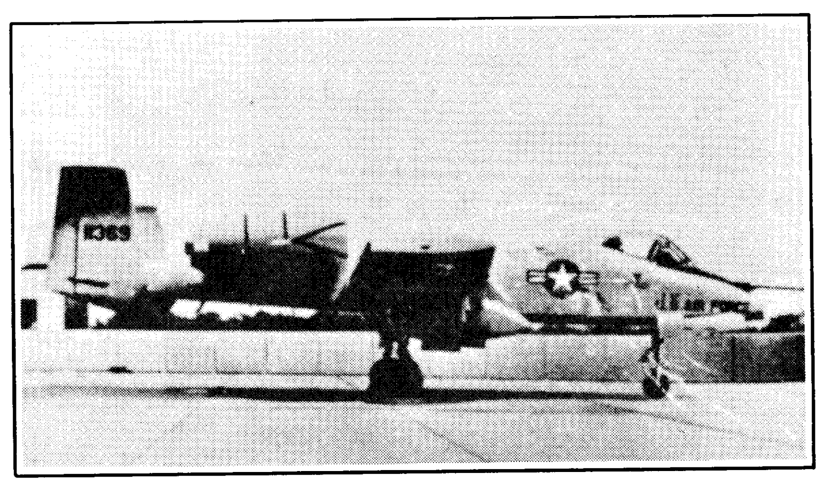
العدو لا يستهدف القوات النظامية فحسب، بل ينشر الحرب لشل كافة القوى الوطنية التي تشكل مراكز مقاومة له. والتي تتحول عند اللزوم إلى جيش قائم بحاله، إن عمال المصانع والطرق، والمطارات، والموانىء، وكذلك المعاهد والمؤسسات الحيوية الأخرى، كلهم جيش ثان تأتي أهميته في المرتبة الأولى بالنسبة للمجهود الحربي، وهي بالضرورة أهداف يتوخاها العدو لشل القدرة الحربية.

(4) إرتباط الحرب بالإقتصاد

نظراً للتكاليف الباهظة لإنتاج وشراء الأسلحة الحديثة، بل قل: كافة الوسائط الحربية.. وأيضاً للإستهلاك السريع الهائل للأعتدة لكون الأسلحة ذاتية ولها معدلات رمي عالية جداً، فإن الإقتصاد أصبح في خدمة السياسة (الإقتصاد السياسي)، والتخطيط السوقي هو التخطيط السياسي من الوجهة العسكرية، عليه... ارتبط الإقتصاد بالحرب إرتباطاً وثيقاً. وخاصة في الإقتصاد الموجه حيث المجتمع المصوغ.. ومن ثم أضحت جميع مرافق الإنتاج أهدافاً حربية يشملها العمل المعادي، وينشد تدميرها. وهكذا تتحول أرض الدولة كلها إلى ساحة عمليات محتملة، وبهذا ضاعت الجبهة وما يتصل بها من تعريفات سوقية وتعبوية كنا نسهر الليالي لنحفظها بالترتيب!!!

تَطوّرُ سِلاح الطَّيَران

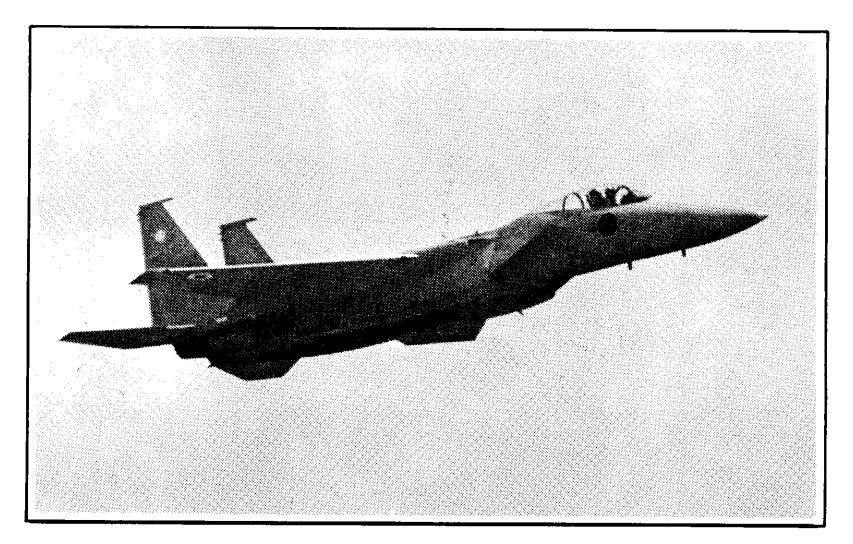
من الظواهر الخطيرة والمباشرة على السوق الحربي ظهور أنواع متقدمة من الطائرات الحربية التي لم تكن معروفة في الحربين السابقتين، أهمها: ظهور الطيران النفاث. وحيث أن نظريات ومبادىء وأسس الحرب قد استنتجت ووضعت على ضوء السلاح المعروف والمجرب، فإنها أصبحت الآن عديمة الجدوى أمام الإنقلاب الهائل في أنواع الأسلحة وفي مقدمتها الطيران ـ فإذا كانت القوات الأمريكية قد قاتلت في الحرب العالمية الثانية بالطائرات (ب 17)، (ب 25) القاذفة، فإن هذا النوع ربما وضع في المتاحف الآن، لقد طورت تلك الأنواع، وأصبحت الآن (ب 58) و(ب 1)



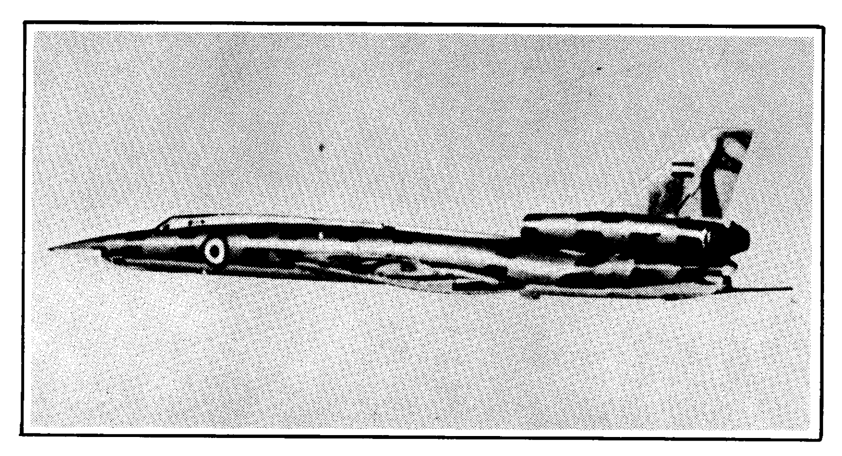
أ ـ 10

التي تستطيع حمل قنابل نووية وتسير بها آلاف الأميال بدون التزود بالوقود، وأيضاً (أ/ 10) التي تستطيع حمل (10 أطنان) من القنابل وتبلغ سرعتها (1000 كم/ ساعة).

وإذا نظرنا إلى تطور سلاح الطيران الروسي نجد القاذفة (تي يو 22)



● ف 15

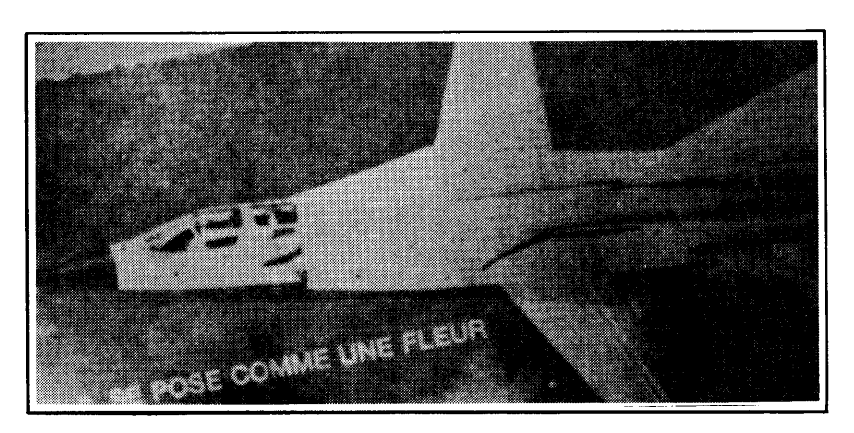


● تي يو 22

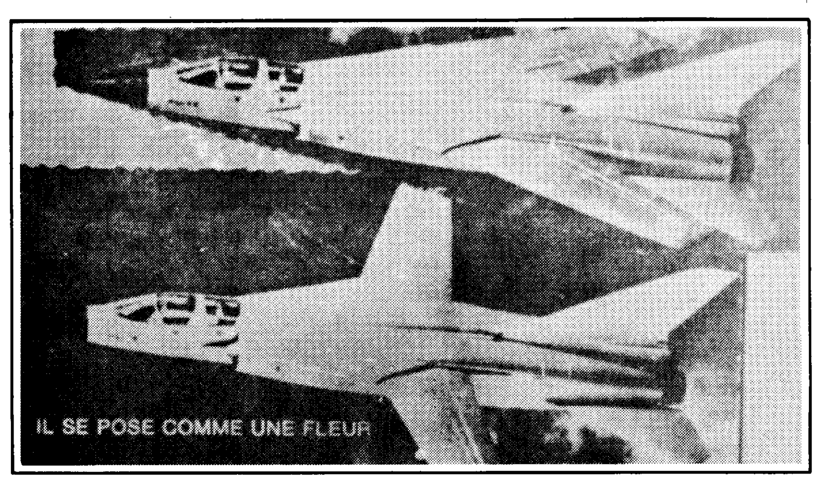
والقاذفة (باك فاير) وكلتاهما تستطيع الطيران على مستوى سطح البحر بسرعة تزيد عن ضعف سرعة الصوت، وهي حاملة للقنابل النووية.

كذلك طورت المقاتلات الروسية، فقد ظهرت المقاتلة (ميج 23)، (ميج 25) والأخيرة تستطيع الطيران بسرعة تزيد على ثلاثة أضعاف سرعة الصوت، وبارتفاع 90,000 قدم بحيث يصعب القتال الجوي معها.

أما فرنسا فقد تطور سلاحها الجوي وظهرت (الميراج 4) حاملة



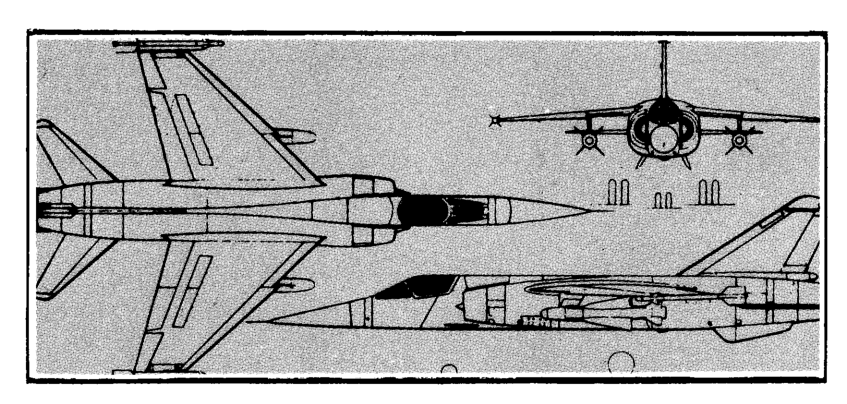
ميراج 4



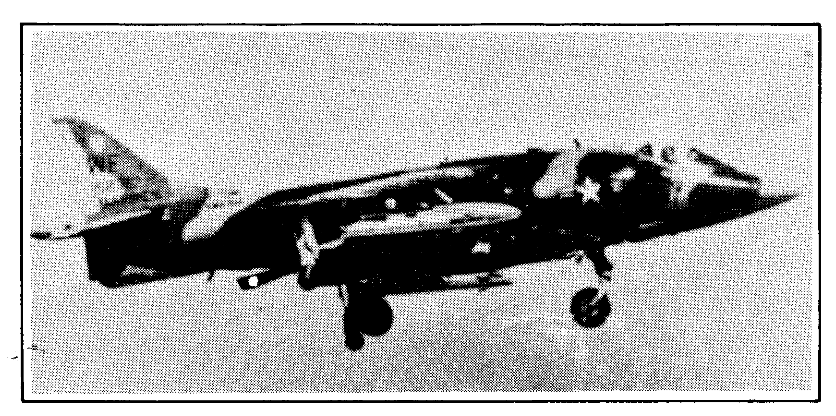
● ميراج 8

القنابل النووية. و(الميراج 5 د) المزودة بأجهزة اليكترونية تمكن الطيار من إصابة الأهداف الأرضية بدقة.

أما في مجال المقاتلات الفرنسية فقد ظهرت (الميراج 8) و (الميراج ج 4) و(الميراج ف 1) حيث تتمكن كل من الأولى والثانية من طي أجنحتها، مما يزيد من سرعتها عند اللزوم.



● ميراج ف ١

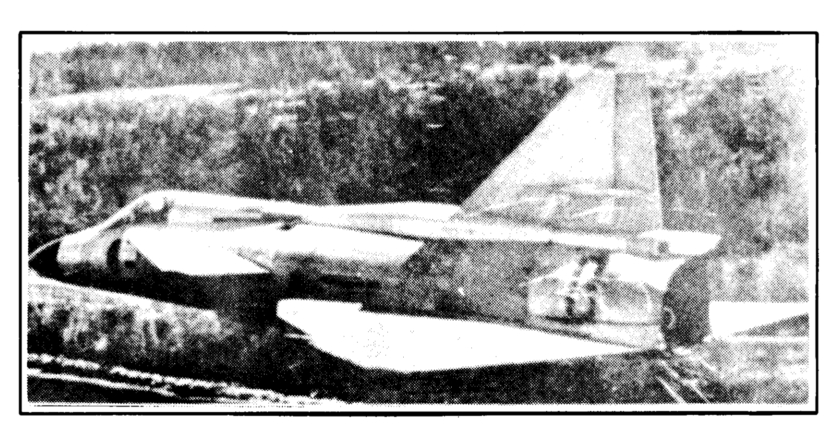


● هارير

والسلاح الجوي البريطاني شمله أيضاً ذلك التطور، حيث ظهرت القاذفة النووية نوع (فالكون).

وكذا المقاتلة نوع (هارير) التي يمكنها الهبوط والإقلاع عمودياً.

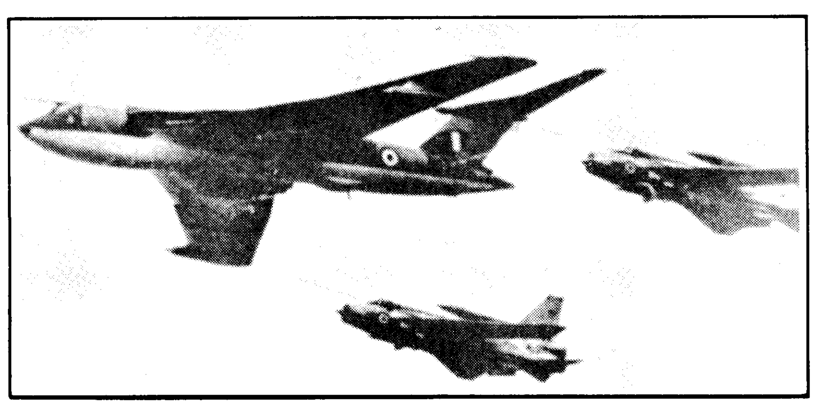
كذلك شمل التطور القوات الجوية السويدية فنجد الطائرة السويدية نوع (ساب س ك 37) المزودة بحاسب آلي يستطيع القيام بأعمال الملاحة، والسيطرة على النيران، وتحديد الأهداف، والقيام بـ 48 واجباً، وعمل 200.000 عملية حسابية في الثانية الواحدة.



● ساب س ك 37

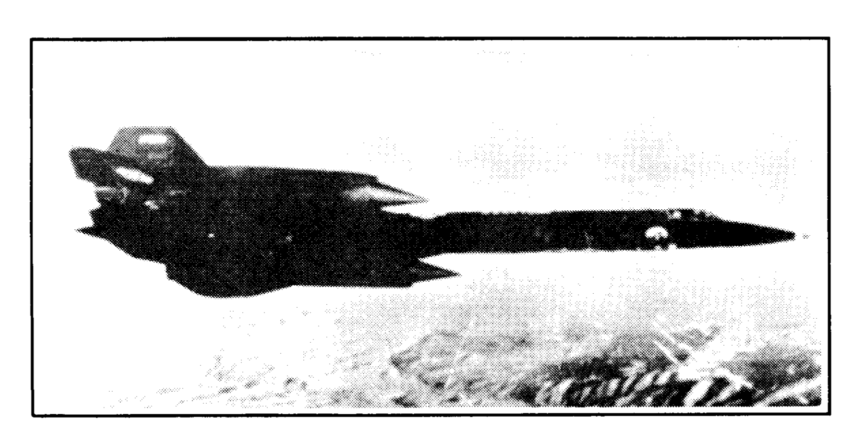
ولقد شمل التطور أيضاً طائرات الإستطلاع، فبعد أن كانت تعتمد على التصوير النهاري، والإستطلاع البصري . . أصبحت تستخدم الأشعة دون الحمراء، وربما أشعة الليزر في استطلاع الأهداف، مثل الطائرة (س ر / 70) الأمريكية. ولما كانت معظم طائرات الإستطلاع غير مسلحة، وتتوغل في عمق أرض العدو، أصبح لزاماً على الدول أن تجد وسيلة بديلة عن قائد الطائرة، فاخترعت طائرات الإستطلاع بدون قائد مثال طائرة (فايربي) التي يصل مداها إلى 1800 كم، مع القدرة على إرسال المعلومات التي تحصل عليها آلياً إلى مركز قيادتها.

قد كان التزود بالوقود في الجو إحدى الطفرات التقنية الخطيرة في عالم الطيران.

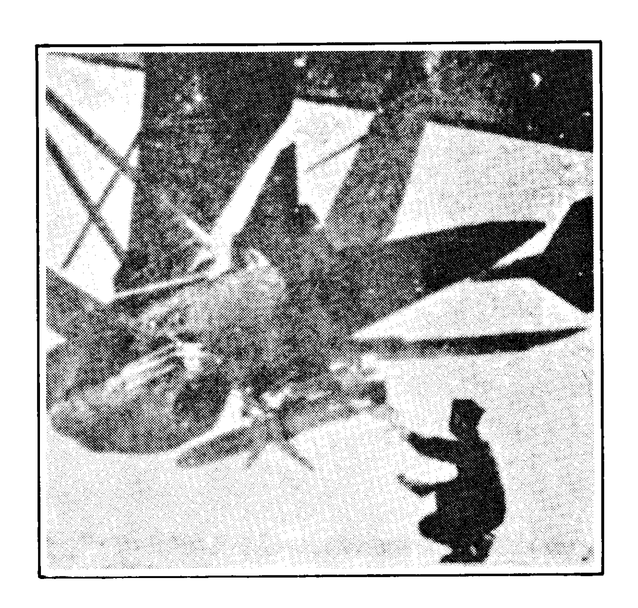


● طائرة تزود بالوقود

ومما تقدم نرى أن الطيران الحديث انفرد بمزايا لم تكن موجودة في هذا السلاح الذي جربه العالم في حربين عالميتين، وبنى نظريات السوق والتعبية، وأسس الحرب وفقاً لخواصها، ولذا لا بد من إعادة النظر في ذلك



● طائرة استطلاع س. ر / 71

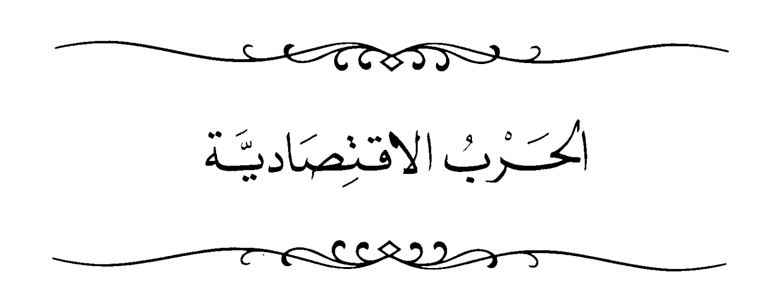


● طائرة بدون طيار

كله، بل لا مفر من الشطب على تلك النظريات، وتهديم الأسس العتيقة لتحل محلها مبادىء حرب حديثة، تمشيا مع سوقية الحرب الشاملة الخاطفة والتي يجري فيها الصدام بأسلحة جبارة فتاكة قد يدخل بعضها المعترك لأول مرة في تاريخ الحروب.

ويمكن تحديد خواص الطيران الحديث في الآتي:

1 ـ سرعة غير مألوفة تصل إلى 3600 كم/ساعة.
2 ـ حمولة أسلحة غير مألوفة تصل إلى أكثر من (20) طناً.
3 ـ طول مدى غير مألوف يصل إلى عشر ساعات.
4 ـ طيران منخفض غير مألوف يصل إلى 50 متراً فوق سطح الأرض.
5 ـ إمكانية التزود بالوقود في الجو.
6 ـ إستخدام الأشعة: أشعة الليزر، والأشعة دون الحمراء.
7 ـ قدرة استطلاع سوقي غير مألوفة.
8 ـ أجهزة، مثل: شاشات المراقبة، والتوجيه، وحماية الطيار، والعقول الآلية.



الحَرْبُ الاقتِصَادِيَّة

لم تكن هذه الظاهرة معروفة في الحروب القديمة. . . وكان العدو يقوم بمحاصرة المدن أو الحصون ليجبر المدافع على الإستسلام. . وهي محلية محدودة جداً. ولكنها تشبه الحصار الإقتصادي الذي يعتبر إحدى ظواهر الحرب الحديثة. . وكان أقصى أثر للحرب الإقتصادية في الحرب العالمية الثانية هو عملية إغراق السفن في البحر بواسطة الغواصات، وأهمها التي جرت بين ألمانية وبريطانيا في بحر الشمال بالذات.

لقد كانت المجتمعات قديماً بدائية في أوجه حياتها المختلفة، ولم يكن التبادل التجاري، والسوق العالمي، والميزان التجاري، والتصدير، والتوريد. . لم تكن هذه المسائل معروفة وقتذاك. بل كان المجتمع يعتمد اعتماداً كلياً على الإنتاج المحلي. . وهو أسعد حظاً في هذه الناحية من مجتمع اليوم الذي لا يمكنه أن يعزل نفسه عن المجموعة الدولية. وبالتالي فإن هذا المجتمع لا يتعاون في مجموعه، بعضه مع بعض، بل يتم الإكتفاء بصورة فردية. . . وكانت الفلاحة هي المهنة الغالبة على الأفراد. . وهم في ذلك لا يتبادلون النقود، ولا يتعاونون على نطاق واسع. . بل الفلاح يحرث بنفسه، ويحصد، ومن ثم يستهلك إنتاجه لوحده. . وحتى اللباس يصنع في معظم الأوساط محلياً. وإذا كان ثمة تبادل أو تعاون فإن أقصى ما يصل إليه من حدود هو داخل المجتمع ذاته، ولا يتعداه إلى غيره.

ولنضرب لذلك مثلاً قريباً:

(فعندما حاول الطليان التفكير في ضرب الحصار على شواطىء ليبيا ، بعد أن أجبروا أمام المقاومة على البقاء في المدن، وخاصة مدينة طرابلس، وأرادوا إجراء مفاوضات للمساومة دخل المجاهدون في موكب كبير. . وعند الجلوس أخرج كل منهم زناداً محلياً وباروداً مصنوعاً من رماد الشجر، ومعه حجرة صوان، وأشعلوا لفائف الدخان بهذه الطريقة. ولما سألهم المفاوض الطلياني عن ذلك قالوا له: إننا مكتفون محلياً حتى في مثل هذه الأشياء التي تعتقدون أنها لا يمكن أن تكون إلا بواسطة الآلات المصنوعة في بلادكم).

وهذا مثل على فشل الحصار الإقتصادي في الحرب القديمة. وبناء على ما تقدم فإن الحرب ـ سابقاً ـ لم تكن ذات آثار خارجية، بحيث تؤثر على إقتصاديات المجتمع ويتضرر بذلك الأفراد، أما اليوم فإن للحرب آثاراً بعيدة المدى، ينبغي التفكير فيها قبل أي شيء. وقد تكون الحرب الحديثة حرباً إقتصادية فقط دون أن يشهر فيها السلاح، وهي بهذا مميتة وخطرة، ومن هنا يحتم على الدولة التي تريد أن تبقى في عالم اليوم أن تكتفي إقتصادياً في جميع المجالات. وإلا فهي في حكم العدم والزوال ضمنياً وقبل قيام الحرب بالفعل. . إن التخطيط الإقتصادي في ظروف العالم الآن لا يقل أهمية وخطورة عن التخطيط العسكري، وكلاهما يكمل خطة السوق العامة للدولة. إن علوم الإقتصاد السياسي والجغرافية الإقتصادية لم تأخذ مكانها إلا بعد الحرب العالمية الثانية.

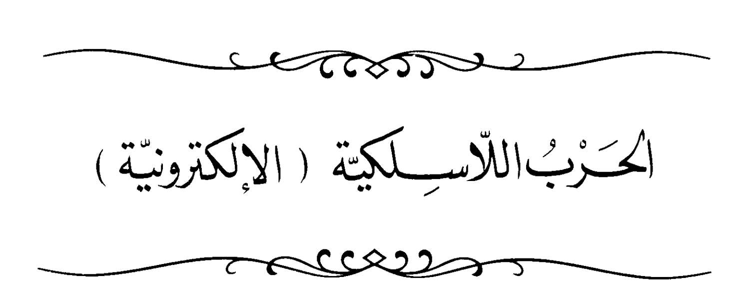
والآن أصبح العالم مرتبطاً ـ بعضه ببعض ـ أشد الإرتباط في مسائل المواصلات والإنتاج والإستهلاك، فما تنتجه دولة ما قد تستهلكه دولة أخرى. . وقد أصبحت عملية التبادل التجاري كذلك غاية في التعقيد، فهي تجري بالعملات الصعبة، بدلاً من نظام المقايضة الذي كان سائداً في يوم ما.

إن الثروة الوطنية والدخل القومي. . والقدرة الشرائية للوحدة النقدية للبلد، ونظام المدفوعات. . والإكتفاء الذاتي. والصادرات

والواردات. . . وأثر ذلك على الميزان التجاري. . هذه كلها أمور استجدت أخيراً، فرضها الإنقلاب الصناعي وحتمها التطور المتلاحق لحياة الإنسان المعاصر. وأنها أصبحت تؤثر بقوة في مصير كل بلد. . والخطير في الأمر أن تلك العوامل السابقة الذكر ذات صلة وثيقة بشؤون الحرب الحديثة، فلا يمكن لدولة أن تشن حرباً أو تعلن نفيراً، إلا وتكون قد فعلت ما فعلت في هذا الصدد وهي على بينة تامة من أثر ذلك على كافة العوامل الإقتصادية وعلى ضوء من علاقاتها الإقتصادية الخارجية مع المجموعة الدولية.

وهكذا أصبح الإقتصاد في ذاته حرباً شعواء. . وقد يكون أخطر الحروب جميعاً، إذ تقترن الحرب الإقتصادية بهجوم دعائي مركز. . وبحرب نفسية منظمة. . يستهدف العدو من وراء ذلك استسلام الخصم، بعد أن يفقد الثقة في نفسه ويشعر باليأس في معركته، ويحس بالجوع في معدته. . وعندئذ تكون الطامة قد وصلت إلى منتهاها. وبات تصدع الجبهة الداخلية هو المتنفس. . وانهيار الوحدة الوطنية هو السبيل.

وذلك أحد الأهداف السوقية التي تؤدي ـ بالتالي ـ إلى الغاية التي من أجلها قامت الحرب.



الحَرْبُ اللاّسِلكيّة (الإلكترونيّة)

إلى جانب تقدم الوسائط الحربية في العصر الحديث تقدمت أيضاً، وبالضرورة، وسائل معالجتها، ولعل شاشة المراقبة لاكتشاف الأهداف الجوية والبَحرية هي أكبر عامل انقلاب سوقي، وأن موجات الإتجاه اللاسلكية أصبحت تلعب دوراً خطيراً في مجال الإستطلاع السوقي.

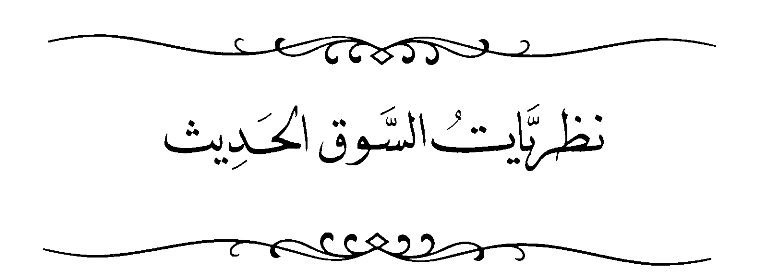
أمام هذه الحقائق لا يمكننا إلا استخدام (المرونة) الذهنية لننسحب من مواقع القديم المهترىء فكراً وعملاً، ولنحتل مواقع متقدمة على أرض الواقع الخطرة ولندفع الثمن.

الفصل الثالث

السّوقُ الحدِيث

يقول ليدل هارت: (أنه لم تصبح المفاهيم القديمة والتعابير السابقة للإستراتيجية ملغاة وعتيقة فقط، ولكنها أصبحت سخيفة أيضاً بحكم تطور الأسلحة الذرية). إن هذا الكلام يتمشى منطقياً مع ما ورد من تبدل مذهل في وسائط الحرب المذكورة في الفصل الثاني بالخصوص. إن السوق القديم أصبح ملغى مما لا شك فيه، وإن كنا نتمسك به على الورق فإنه غير موجود في عالم التطبيق، إن هذا التحول الغريب يفهمه الذين يعالجون معضلات الحرب المعاصرة، ويخشون زوال أقدامهم من فوق أرضهم في حالة مواجهة ساخنة بالأسلحة التدميرية الحديثة.

وبما أن لكل بلد سوقية خاصة به، وفقاً لظروفه والظروف المحيطة، ولكل موقف كذلك سوقية، وأنه من الصعوبة بمكان التحدث الآن على المستوى القومي العربي أو المستوى الإقليمي، وذلك لعدم وضوح الرؤية، لذا لا يمكن ـ والحال هذه ـ تقديم نظرية بعينها على ضوء ما سبق سرده من عوامل الإنقلاب الخطير في ميادين السوق الحربي. والذي يمكنني إيراده في هذا الفصل هو معالم السوق الحديث بوجه عام، والتي غطت بتغيرها جميع الدول المعاصرة، على أن تكيف كل منها موقفها السوقي حسبما تقدم.



نظرَيّاتُ السَّوق الحَدِيث

(1) الضربات الإبتدائية

إذا كانت نتيجة الحرب في السوق القديم تتقرر في الساعة الأخيرة من المعركة فإن العكس يحدث الآن، وهو أن الساعة الأولى من المعركة هي الساعة الفاصلة، وربعها الأول هو الربع الحاسم. وسبب هذا الإنقلاب في نتائج القتال هو أن الحرب الحديثة سواء نشبت بعد الإعلان عنها، أم قبله، فليس ثمة فسحة زمنية تكفي لإعداد قوى الهجوم المضاد، وبالتالي، رد المعتدي أو التغلب عليه. إن سرعة الضربات الإبتدائية وفعاليتها في اللحظات الأولى لنشوب القتال هي التي تحسم مصير المعركة إذا استثمرت بنجاح.

فإذا كانت الطائرات الحديثة تقطع كيلو متراً في كل ثانيتين، والصواريخ تقطع أضعاف هذه المسافة في وقت أقل - فإنه يستحيل على الإطلاق الرد والملاقاة، كما أنه يتعذر الوقاية والإنتشار. ومن هنا تظهر خطورة الضربات الإبتدائية وأهميتها الحاسمة، وعليه.. استوجب التحضير المبكر، وسبق النظر البعيد لكلا الطرفين الهاجم والمهاجم.. وهذه أمور تتطلب مرونة ذهنية ووسائط حربية حديثة، وفعاليات أركان ذات تخصص عالٍ ممتاز.

إن الضربات الإبتدائية تحيل كافة خطط، وترتيبات السوق القديم من

حشد وانتقاء محاور، وإعداد لساحات العمليات ـ تحيلها إلى قصاصات ورق في حيز سلة المهملات لا خطط في حيز التنفيذ!!

وإذا سبق هذه الضربات تحضير كافٍ بوسائل الإستخبارات والتخمين المعقول مصحوباً بمهارة تقنية عالية فإنها تكون ذات تأثير شديد الخطر، ومن المتوقع توجيهها تحت الظروف السابقة، نحو أهداف حساسة للغاية، بحيث لا تترك بعدها للعدو قدرة لإعادة التنظيم، أو الرد بالهجوم المقابل.

(2) السد السوقي

عرف السد السوقي منذ وقت مبكر في تاريخ الحروب. بيد أن الفارق الكبير والخطير في ذات الوقت هو أن هذا السد كان يقام قديماً بالقوى البشرية المدعمة طبعاً بالأسلحة التقليدية السائدة، وهو حركة سوقية تبنى على احتمالاتها الخطط العامة للموقف في حالة الهجوم. وقد استعيض في السوق الحديث بالقصف الجوي والصاروخي، عن البشر والمعدات التقليدية بعد أن ثبت فشل الأخيرة في الصمود أمام تأثير الأسلحة. ولنقارن بين معركتين وقعتا في التاريخ: إحداهما شكلت فيها المشاة والدروع وبقية الأسلحة هذا السد، والأخرى صبت النيران الملتهبة فوق موضع السد وخاصة بواسطة الطيران. أما الأولى فهي مضيق طباقة عام 1943 حيث أقيم بواسطة 6 فرق ألمانية وإيطالية علاوة على فرقتي احتياط وهي حالة دفاع سوقي، وقد انهار هذا السد المنيع أمام القصف الجوي الكثيف الذي لم يسبق له مثيل في تاريخ سلاح الجو البريطاني، إذ اشترك فيه 30 سرباً، وقد تركز القصف الواطىء لمدة ساعتين ونصف قبيل الهجوم العام، وكانت النتيجة أسر قوات السد الدفاعي وانسحاب ما تبقى منها. وهي حالة فريدة لاستخدام الطيران في الأربعينات كما لو كانت في الستينات أو ما بعدها تماماً!! أما الثانية فهي قيام الطيران الإسرائيلي عام 1967 بإقامة سد سوقي فوق عدد من الممرات شرق القناة، وأهمها ممر (متلا). وأمام هذا الحاجز

الملتهب من الجو لم تستطع القوات العربية، التي بدون غطاء جوي، أن تنسحب خلال الممرات التي سبقها العدو في الوصول إليها، وركز فوقها القصف الجوي. والملاحظ هنا أن قوات العدو التي سبقت إلى المضايق وسدتها بالنيران بقصد حجز القوات المنسحبة حتى تباد أو تستسلم ـ إن قوات العدو هذه حلت محل المدافع على مضيق (متلا) رغم أنها كانت في حالة هجوم. ولو احتل العدو الخط بالمشاة لاستطاعت القوات العربية إقتحامه بلا شك.

(3) الخوف من الأضعف

إن كان الخوف المعهود هو من الأقوى فإن السوقيين في الحرب الحديثة صاغوا نظرية (الخوف من الأضعف). والجدير بالذكر هنا هو أن المقصود الأضعف وليس الضعيف. . فالضعيف محكوم عليه بالمسكنة والمذلة في عالم تتخطفة القذائف الموجهة والطيران السريع، وإنما الأضعف حالة نسبية في المقارنة بين ندين، يتفوق أحدهما على الآخر في ميزان القوة، فالأضعف يخشى إذا وقع صدام مباشر أن يتغلب عليه القوي ويدحره. . وعليه. . أصبحت وسيلة الأمن الوحيدة هي الإنتقام المبتسر، وذلك بشن حرب وقائية خاطفة قد تكون محدودة، كتدمير أهداف حساسة معينة، وقد تتحول إلى حرب بالمفهوم المعروف. ويكون فيها الإنتقام شاملاً، وإذا وقعت هذه الحال بين دول كبرى فإن الإنتقام يكون ـ على أكثر الإحتمال ـ بالسلاح الذري التعبوي إذا كانت الغارات وقائية ومحددة، أما إذا تطور الموقف إلى حرب شاملة فإن وسائل الدمار المتوفرة لا مناص من استخدامها في الصراع، أما إذا كانت بين (الدول الأخرى) فالطيران السوقي هو الوسيلة الممكنة، أما السلاح الذي يحتمل استخدامه أيضاً فهو الصواريخ المتوسطة.

ومن المرجح أن تكون الغلبة للأضعف الذي بادر بالضربات

الإبتدائية قبل خصمه. وما حرب يونيو 67 م عنا ببعيدة، حيث انتقم العدو الإسرائيلي بشن حرب وقائية إنتقامية تعويضاً لقلة عدده، وخوفه من التدمير إذا وقعت حرب مباشرة بينه وبين القوة العربية، وفي مقدمتها طيران وصواريخ الجمهورية العربية المتحدة.

(4) التنظيم القزمي

حتمت الحرب الحديثة، ووسائل القتال المتقدمة ضرورة إعادة النظر في أسس تنظيم الجيوش وتوزيع ملاكاتها بما يتلاءم وتأثير الأسلحة الجديدة. . وخواص الوسائل الحربية المستحدثة. ويتجه التنظيم الآن نحو (القزمية النشطة) أي جعل العسكرية تتكون في أساسها من وحدات صغيرة، لها استقلالية ذاتية قادرة على الحركة والعمل، في حدود الواجبات التعبوية إذا كانت من وحدة فما دون، والسوقية إذا كانت أعلى من ذلك، شريطة أن تكون أما محمولة جواً ليمكن إنزالها في الزمان والمكان المطلوبين بكامل معداتها وزادها، أو أن تكون محمولة بالناقلات المدرعة الحديثة، بحيث لن تكون ثمة مشاة تحمل بالسيارات العادية، وقد خصص لكل حضيرة ناقلة.

أما التشكيلات الكبرى ذات القوة البشرية الكثيفة فلم تعد صالحة للقتال في الحرب الحديثة، إذ أن مثل هذه التشكيلات تكون أهدافاً واهنة أمام أي هجوم جوي كثيف، أو ضربات ذرية أو حتى عادية، هذا إذا كانت راجلة أو راكبة سيارات النقل العادية. ولا بأس من كثرة العدد البشري إذا وزع على الناقلات المدرعة، وطوائف الدبابات، والمدرعات، وسيارات الإستطلاع، والطاويات المدرعة الحديثة، وأيضاً الحوامات، أو أن تكون محمولة جواً أو بحراً. والمهم هنا هو أن ترصد الأعداد البشرية الضخمة في الإحتيا طي السوقي، على أن تكون مدربة وجاهزة لتحل محل القوات العاملة عند اللزوم بالكيفية المذكورة أعلاه. إن أضعافاً مضاعفة من القوات

التي تحت السلاح ينبغي أن تكون موجودة في الإحتياطي السوقي . وقد سبق أن قلت أن احتياطي جمهورية الصين مثلاً 12 مليون شخص، بينما قواتها العاملة ربع هذا العدد فقط، إذ أن القوات العاملة عرضة للسحق الكامل في الحرب الحديثة.

(5) إلغاء المنظومات الإدارية

لا زلنا ـ للاسف ـ إلى هذا اليوم، نعتقد في ضرورة إيجاد منظومات إدارية تمتد مثل الحبال الواهنة من القواعد في أرض الدولة إلى جبهات القتال، مروراً بمناطق الأدامة، والمناطق الإدارية للتشكيلات المختلفة!! إن سرعة حركة القطعات الحديثة، وسيادة حملها جواً وبحراً بكامل معداتها ـ كل هذا قد أفقد المنظومة الإدارية قيمتها، بل ألغى ضرورتها، وأصبح من البلاهة إقامة مثل هذا النظام في الحرب المعاصرة، فالسيارات التي ينبغي لها أن تتحرك ذهاباً وإياباً وباستمرار، ما بين خطوط القتال، والقواعد الخلفية. . أصبحت عديمة الجدوى، أولاً لبطء سرعتها بالنسبة لسرعة عمليات الحسم في القتال الآن، وثانياً لتعرضها الحتمي للتدمير، إذ أن المدفعية والطيران في الوقت الذي كانت فيه هذه المنظومات ذات نفع ـ كان مداها قريباً، فهي لا تتجاوز بضرباتها مواقع الخطوط الأمامية في الجبهة. ولم تكن خطوط المواصلات في السابق عرضة للقطع إلا بواسطة حركات تطويق بعيدة، زحفاً على الأرض بالمشاة والمدرعات البطيئة. أما الآن فقد اختفت الجبهة وأصبح الوطن كله ميدان قتال. . إن غارات بالطيران السوقي، وضربات بالصواريخ حتى المتوسط منها تكفي لإصابة المنظومة الإدارية بالشلل الكامل، ناهيك عن القصف الذري التعبوي أو السوقي الذي لا يمكن المغامرة بالدخول في حرب معاصرة دون أن تتضمن الخطة احتمال ظهور هذا السلاح في القتال.

إن الجسور والطرق والمطارات والموانىء البحرية، ومراكز التكديس

سواء أكانت في الخلف البعيد، أم في ساحة العمليات هي مؤقتة الوجود بكل تأكيد، والويل والثبور لمن يضع فرضيته على أساس من دوام وجودها. وهذا ما نقع فيه الآن من خطأ سوقي يجر إلى فشل تعبوي عند دراستنا للجغرافية السوقية، حيث نضع في اعتبارنا خطوط المواصلات والمنشآت الأخرى كالجسور ونحوها، غير دارين بأن ما ندرسه قد تجاوزه التطور المتلاحق، وألغاه السباق الرهيب في عالم اليوم.

بادىء ذي بدء،فالقطعات المقاتلة قد لا تكون تشكيلات ثابتة كما هو وقت السلم، إن لم أقل أن ثمة دولاً غيرت التنظيم المعروف حتى في وقت السلم.. فما بالك بوقت الحرب؟ ففي الحالة الأخيرة تتحول القوات إلى مجموعات غير معروفة الآن، ولكنها منسقة بصورة تتسم بالمرونة والسرعة، والفاعلية. ويمكن للقارىء أن يطلع على تنظيم أي جيش حديث ليرى كيف اختفت المشاة داخل بطون الدروع والمسروفات والسفن والطائرات وأيضاً الحوامات الحديثة. كما أن سير قتال أي معركة في الوقت الحاضر يظهر لنا بوضوح تبدل الوسائل، وتغير الوسائط الحربية. وهذا الطابع الجديد للجيوش جعلها متحركة في حالتي الدفاع والهجوم مع سرعة فائقة، مما ترتب عليه عدم إمكان إقامة مناطق إدارية ثابتة للتموين والإمداد.

إن المناورة الجديدة متغيرة الإتجاه، سريعة التحول، بحيث يصعب تحديد ساحة العمليات أو التأكد من ثباتها، هذا إذا أجريت بقوات برية، أو بواسطة الإنزال.. أما إذا أجريت بواسطة القذائف الموجهة، أو الهجمات الجوية الخاطفة فهي لا تتطلب ـ والحال هذه ـ أية إمدادات، أو طرق مواصلات أو محاور تقدم، أو مناطق إدامة وإدارة، فهي عبارة عن قصف متبادل من مناطق الإطلاق، أو انطلاق جوي من قواعد أو حاملات متحركة.

(6) القواعد المؤقتة وتدابير الإنتشار

نظراً للتقدم الخطير في وسائل الإستطلاع السوقي. . وإمكان توغل الرتل الخامس في أرض الطرفين، والذي أصبح من المستحيل القضاء عليه، أو الحد منه، بحكم العلائق الدولية السائدة. . . فالسفارات وأتباعها، وجماعات السائحين، ومستخدمو الشركات، والوفود المختلفة بين الدول، كلها مناخات ملائمة يمكن استغلالها في شؤون الإستخبارات والتجسس، والأمثلة على ذلك كثيرة: فبعثة سياسية فرنسية أتت مرة إلى الجمهورية العربية المتحدة للتباحث في مسائل معلقة بين البلدين، وجد أن أفرادها يتجسسون لحساب العدو، فكشفوا، وحكم على بعضهم بالإعدام عام 1963، وعضو وفد سوري وجد أنه جاسوس إسرائيلي في شهر نوفمبر 1968 بطرابلس الغرب. ومدرس لغة أجنبية بالجامعة الليبية اكتشف أنه وعائلته خلية تجسس صهيونية في الستينات، وأتباع السفارة الأمريكية بالقاهرة استطاعوا إغراء الصحفي مصطفى أمين ليكون عميلاً لهم، وصحفي عربي ـ وهو عزت إبراهيم ـ إستطاع عن طريق مهنته، أن يدخل الأرض المحتلة عام 1964م. . هذه أمثلة فقط، وما قصة كوهين عنا ببعيدة.

هذا فيما يخص الرتل الخامس. أما الإستطلاع السوقي بواسطة الأقمار الصناعية، وطائرات التجسس فهو أدهى وأمر. ولولا عمل الجواسيس والإستطلاع الجوي البعيد المدى لما عثر في جيب أحد الطيارين الإسرائيليين في حرب يونيو 1967 م على خريطة تحوي الموضع الجديد لكتيبة صواريخ عربية تم نقلها إلى هذا المكان قبل أسر الطيار بيومين فقط، أي أن التغيير كان يوم 3 من يونيو والأسر وقع يوم 5 منه!!.

ومن هنا ابتكر السوقيون العسكريون ضرورة جعل القواعد الحربية غير ثابتة ليمكن تغيير مواضعها باستمرار، وليصعب ـ بالتالي ـ تسجيلها وإصابتها. وعليه لا يمكن اتخاذ ترتيبات الدفاع، وإنما استبدل بترتيبات

أخرى، ولا بد والأمر هكذا، أن نسقط من ذهننا كافة المعلومات السوقية القديمة التي وضعت على أساس من ثبات وسائط الدفاع وصمودها، وحتى إن كنا نحن تقليديين في دفاعنا، ولا نريد، أو لا نقدر على جعله متحركاً . . . فإن العدو لا نتوقع منه الدفاع الثابت، أو تسجيل قواعده. ولا يقف الأمر عند هذا الحد، بل أعدت كافة الوسائط الحربية الحديثة لتكون جاهزة للإنتشار السريع في ساعة الإنذار، وهذا الإجراء يعتقد العسكريون ـ وخاصة الروس ـ أنه يجعل الضربات الإبتدائية خائبة، ويعطي بعدئذٍ فرصة الرد على ضوء نوع السلاح الذي استخدمه الطرف البادىء بالهجوم.

(7) نظرية معاكس القوى ونظرية معاكس المدن

لقد جرى صراع بارد ورهيب بين قوى المعسكرين الشرقي والغربي منذ عام 1945 وهو ما نسميه ببداية العصر الذرى. . ومر هذا الصراع بخمس مراحل تقريباً، ويبدو الغموض محيطاً بميزان القوى بين روسيا وأمريكا في نهاية المرحلة الرابعة، أي عام 1963 ، حيث تعادل في المرحلة الثالثة، أي عام 1957 م عندما صنع الروس الصاروخ العابر للقارات، وأطلقوا أول قمر صناعي بواسطة صاروخ بعيد المدى. وأصبحوا يمتلكون طائرات خطيرة قادرة على ضرب أهدافها داخل الولايات المتحدة الأمريكية كما يقولون. وفي مقابل ذلك كان لدى دول حلف شمال الأطلسي الصواريخ الأمريكية المتطورة (بولاريس) و (جوبيتر) وأسراب من الطائرات السوقية البعيدة المدى. وإزاء هذا الإنقلاب الهائل في وسائل الضرب والردع اجتهد الفريقان ـ عسكريين، وساسة وإقتصاديين ـ لوضع نظريات للسوق الحديث.

وقد تدارس الأمريكيون هذه المشكلة طويلاً ابتداء من مؤتمر هيلينا إلى كتاب نافت (سياسة خارجية للأمريكيين) إلى دراستي (السولاريوم) و (سيكو) الخاصتين بتمحيص السياسات السوقية ضد روسيا. وقد رجح

ضباط الجيش والبحرية نظرية معاكس المدن، في الوقت الذي قال ضباط القوة البحرية بمعاكس القوى. . ومعنى هذين المفهومين هو: هل توجه الضربات الإبتدائية إلى الأهداف العسكرية كالقواعد الحربية؟. أم توجه إلى مراكز الإنتاج المدني كالمصانع والمدن وباقي المنشآت المدنية والأخذ بإحدى النظريتين واعتمادها يترتب عليه مصير أحد الطرفين إن لم يكن كليهما. ففي حالة تسديد ضربات إبتدائية على الأهداف الحربية، ويعقبها هجوم مضاد من الطرف المضروب بما تبقى له من قوة. . فإن ذلك يحدث ضموراً خطيراً في مخزون القوى مما يجعله ـ بالتالي ـ واهناً إذا تطور النزاع إلى حرب شاملة. أما إذا وجهت نحو الأهداف المدنية فإن هذا يكفل نجاحها بالتأكيد لسهولة العثور عليها، وأنها مسجلة من قبل، ومفتوحة أيضاً، كالمدن الأمريكية بالذات. بيد أن هذا الإتجاه في الضرب يعطي فرصة للقوى العسكرية للإنتقام بجهد حربي أكبر من جهد البادىء بالهجوم، حيث استنفدت الضربات الإبتدائية جزءا من قدرته، كما أنها كشفت مراكز الإطلاق في وقت حاسم للغاية. ومع هذا وجد بالتخمين أيضاً أن معاكس القوى قد لا يكفل التدمير الكامل لها، وأن 30 % كما سبق القول يمكن لها أن تنجو من الهجوم وهي قادرة على الإنتقام الذري، وإلحاق الدمار بالمهاجم، وفي هذه الحال يتساوى الطرفان في نسبة الخسائر وهي فادحة بالطبع! وهكذا تسود نظرية (التوازن الذري) أو (الردع المتبادل).

لقد تحدثت في هذه النظرية عن المقارنة بين المعسكرين الكبيرين في العالم اليوم، وذلك فقط لأبين خطورة انقلاب النظريات الحربية إذا ما طبقت في هذا العصر على نطاق واسع وبالعنف، حيث أن نظرية معاكس المدن، ومعاكس القوى، لهما نفس الأثر على مستوى (الدول الأخرى).

الفصل الرابع

تَغَيُّرُ التَعبِيَة

تعـريف

تعددت تعاريف التعبية كما تعددت تعاريف السوق، والمهم هو أن التعبية هي (التطبيق التفصيلي للسوق)، حيث يجري مزج العنصر البشري بالسلاح، مع استخدام جيد لأدوات الحرب والأرض. والتعبية أيضاً هي (كافة المناورات الصغيرة التي تجري في كل جزء من أرض العمليات بقيادة القادة الأصاغر، وكفاءة من الجنود لتحقيق النصر على أهداف محدودة، وصولاً إلى الهدف السوقي الكبير الذي رسمته الخطة).

تطور التعبية

كانت التعبية التي ندرسها في الكليات العسكرية وفق مصادر قديمة تعتمد بالدرجة الأولى على الإستخدام الجيد للأرض، وعلى الإستطلاع الشخصي، والحركة الراجلة. وكانت تعطي أهمية بالغة لهذه الأمور، ولا جناح في ذلك حيث أن الوسائل يومئذٍ بسيطة وبدائية، وما يملكه هذا الطرف مشابه لما يملكه الطرف الآخر. . فمن حيث الإهتمام بالأرض كانت الأسلحة من ذات المدى القصير والمنطقة المضروبة صغيرة، وهي إما أسلحة شخصية، كالبنادق العادية، أو ثقيلة يصعب تحركها بسرعة مع عدم وجود وسيلة تصويب مثل العدسات والأجهزة الدقيقة التي زودت بها حتى البنادق الآن، وكانت المدفعية تعتمد على التخمين في الرمي المركب، أو الرؤية

الواضحة وبالعين المجردة والمدى المؤثر في الرمي المباشر. وقد تسقط القنبلة أو القنبرة في أرض رملية أو ماء فلا تنفجر، أما وسائط النقل ـ سواء أكانت للجنود أم المعدات ـ فهي سيارات عادية، لا قدرة لها على الحركة خارج الطرق والتغلب على التربة. ومن هنا اهتمت التعبية القديمة بالأرض دراسة واستخداماً، وصولاً إلى وضع ملائم للحركة والثبات، ولهذا نواجه في فقرات أوامر الحركات (الأرض) في أول سطر أو أول نطق. فكثيراً ما تلفت انتباهنا أثناء التدريب أو دراسة التعبية جملة (أنظروا إلى الأرض). أما الإستطلاع الشخصي فله ما يبرره (في الزمان الغابر) حيث العدو ذاته يستطلع بنفس الطريقة، والغالب (حسب الوسائل القديمة) أن تكون الأرض مجهولة للطرفين، لعدم ظهور الإستطلاع السوقي الحديث. وعليه. . . تحتاج الأرض إلى استطلاع شخصي ومفصل لمعرفة حتى عدد (العليقات) التي قد يسبق إليها العدو ويستخدمها ضدنا، أو نسبقه إليها ونستخدمها ضده، كما يتضمن دراسة التبات التي تصلح لإخفاء فصيلة من الجنود عن الرؤية المجردة. . وأيضاً صلاحية الأرض للحفر (بالفأس) لحفر مواضع دفاعية أو إقامتها عليها، وإذا كانت جرداء خالية من النبات والعليقات المنفردة والأشجار الكثـة فهي غير صالحة لتقدمنا! ولا بد من تأمين ساحة رمي جيدة خالية كذلك من العوارض والعوائق، لأن وجود مثل هذه الظواهر يحجب رؤية العدو الذي يزحف على بطنه، مستخدماً مهنة الميدان، والختل الفردي، كزحف القطيطة، أو الفهد الأسرع من الأول أو مشية الشبح إذا كان الوقت ليلاً، والأدهى من ذلك هو أن يكون جنود العدو قد صبغوا وجوههم بالسناج والرماد ولطخوا تجهيزاتهم بالطين، فعندئذ يتحقق مبدأ المباغتة!! ولا بد للآمرين الأصاغر أن يذرعوا الأرض ليثبتوا على بطاقة المدى البعد الأفقي لكل شبح داخل قوس نار وحداتهم حتى يمكن الدلالة على العدو إذا صادف الحظ وأتى على النقطة الدالة وتوقف عندها حتى نرميه، وهو أمر محتمل الوقوع (في الماضي) إذ أن العدو فعلاً يحاول استغلال تلك الأشياء ليستتر خلفها. وبما أنه يسير على الأقدام، ويحمل

قياس الخط الأول على الظهر، ويخشى ظهور لمعان تجهيزاته، أو حدوث حركة فجائية منه أو يظهر مرتسم حقيبة الظهر المبطنة بالورق المقوى، أو يظهر ظله، فيحتمل ـ والحال هـذه ـ أن يستغل طبيعة الأرض ليرى دون أن يراه العدو، ولو أن هذا فهم لنا على أساس أنه اختفاء حتى لا يظهر في التصاوير الجوية لاقتنعنا، ولكنا ـ للأسف ـ فهمناه، وهكـذا يعلمه المدرسون، على أنه اختفاء من الرصد الأرضي والعين المجردة للعدو!! والإهتمام بالحركة الراجلة . . . هو أيضاً مبرر عندما كانت السيارات قليلة، والذي يمكن استخدامه منها في الحرب أقل، وعليه اهتمت المشاة بالمسيرات على الأقدام، وهي محملة بالقياسات اللازمة، على افتراض أن جندي المشاة يومئذ سيقاتل بهذه الطريقة، ويتقدم نحو العدو سيراً إعتيادياً أو زحفاً، وأحياناً بالهرولة! إذن لا بد من تدريبه على هذا المنوال، حتى تصير عنده القابلية البدنية اللازمة. أما الآن فكل شيء قد تغير، فثمة طائرات للإستطلاع مزودة بالأشعة ما دون الحمراء، تتمكن من التقاط مئات الصور في لحظات لمنطقة كبيرة، ولا داعي لمعرفة نوع السلاح والمعدات التي يستخدمها الطرف الآخر، إذ أصبح كل شيء معروفاً ولو عن طريق الإستخبارات، أو الصحف والمراسلين، وأن السرية لم تعد في كتمان نوع السلاح بقدر ما هي في نوع المناورة، وموعد الضربات الإبتدائية، وكذلك الإتجاه.

إن التبعية التقليدية القديمة أصبحت مضحكة ومحل سخرية أمام الإنقلاب الهائل في وسائط الحرب.

إن الجيوش لم تعد تسير على الأقدام مثلما هو في محاضرات التعبية التي ندرسها، ولم تعد الصولة بالهرولة والصراخ والطعن بالحراب، بل هي أما بالطيران المنخفض، أو بالدروع والناقلات المدرعـة. وإذا كان من واجبات المشاة سابقاً مسك الأرض فإنه من الخطر الآن أن تغادر المشاة العلب الفولاذية الحصينة لتترجل فوق أرض عرضة للتلوث بالغبار الذري

والغازات السامة، أو هبوب العصف من أي مكان، بل تكون عندئذٍ واهنة حتى أمام الأسلحة التقليدية. وقد كان الجنود سابقاً يتخندقون، وتمسك بالأرض، وتقاتل من المزاغل إذا وجد بناء أو صنكر أو معاقل لأن ناقلات الجنود المدرعة لم تكن معروفة، بل حتى (الطاوية) وهي السيارة (لاندروفر) لم تكن قد دخلت الحرب بعد حيث صنعت فقط عام 1948 ، ومرت بمراحل عديدة حتى أصبحت الآن الطاوية المدرعة. ناهيك عن الدبابات والمدرعات والناقلات. أما ناقلات الجنود المدرعة التي أقصدها فلها سرعة السيارات العادية ولكنها مدرعة ومكيفة للقتال من داخلها! ومن هنا لا لزوم للترجل للقتال من المزاغل إذا وجدت هذه المزاغل في بناء مدرع من الفولاذ المتحرك، بدلاً من وجودها في بناء من الحجارة أو الطوب.

مواقف تعبوية جديدة:

(1) الدفاع المتحرك

لم يعد الدفاع ساكناً مثل زمان - وكما تعلمنا في (الكليات العسكرية) - يحمل الجندي مجرفاً ومعولاً وأكياس رمل، علاوة على زمزميته وبقية تجهيزاته، بما فيها قياس الخط الأول من العتاد والمؤن!! ثم يقوم بتأشير الأرض (وفق قياسات ثابتة لا يجوز بأي حال القصور دونها، أو تجاوز حدودها المقدسة لأنها عتيقة)! ومن ثم يحفر هذا الجندي ما مقداره 80 قدماً مكعباً في 4 ساعات ثم تغشى المواضع، وتجري عملية الإكساء والإرساء باليد طبعاً، وتطهر مساحة الرمي جيداً، وتثبت المسافة في بطاقات المدى، وتسمى النقاط بأسماء تعبوية. . وينتشر الخفراء للتنصت، واضعين الأذن أحياناً فوق الأرض زيادة في الحيطة والتفنن في التنبؤ بقرب العدو، ولا ينسى الخفير أن يربط حبلاً طويلاً أو قصيراً حسب (المواد المتيسرة) يربطه في رجل أو يد آمر المجموعة، ليسحبه عند الإشتباه في أي شبح إذا كان الوقت ليلاً، أو عند هجوم العدو فجأة. . !!

إن هذا النوع من الدفاع لمدعاة للضحك في هذا العصر أكثر منه مدعاة للشفقة على صاحبة. إن الأربع ساعات التي يحفر خلالها الجندي 80 قدماً مكعباً قد لا تمر ساعة واحدة منها إلا وتكون الحرب قد وضعت أوزارها، أو أن ساحة الرمي التي طهرت، وأعدت بأحكام تعبوي، قد لا يأتي عليها العدو، وقد يجتازها دون أن ندل عليه ونتمكن من رميه، والأدهى من ذلك هو أن تصلنا قذائفه عابرة فوق ساحة الرمي دون أن نرى العدو نفسه، أو تسقط بشكل شاقولي من علو شاهق، وقد تكون على هيئة سوائل حارقة بحيث تفقد السترات الأمامية والخلفية معناها كلية، ويضيع الإتجاه.

لقد ثبت الآن بطلان الدفاع الثابت المتمسك بالأرض، وإلا لما سقطت مرتفعات الجولان المنيعة بعد عشرين عاماً من التحصين. ولما سقطت جبال الجليل ونابلس وخط القناة ذات الظروف عينها، وسبب بطلانه وعدم جدواه يعزى إلى الخواص التي تمتاز بها معدات الحرب الحديثة ووسائطها.

فسرعة الإنزال بالطيران وسرعة القذائف والقصف، وإمكان توجيه الصواريخ التعبوية أيضاً، والقدرة الكبيرة للصنف المدرع على قطع المسافات بسرعة مصحوبة بمتانة جبارة. . جميع هذه العوامل قادرة على جعل المدافع يموت في خندقه معزولاً محصوراً.

إذ أن الفارق التقني بين الدول أمسى كبيراً، فقد تتواجه الأسلحة التقليدية مع الحديثة في أي معركة معاصرة. ولا ملامة إلا على الذي لم يلحق بركب التقدم ويواكبه. . فإذا بنينا خططنا الحربية على هدى مما لدينا من وسائل غير متطورة مثلاً فإننا نكون قد وقعنا في الخطل والخطأ، فالعدو لا يفترض فيه أنه تقليدي كذلك، ولذا لا بد أن يوضع في الحسبان عامل التفوق التقني، وامتلاك العدو لأدوات خارقة للعادة الحربية، قد تتصاعد حتى السلاح الذري.

وهذا عين الخطأ الذي وقع فيه التشيكوسلاف في الحرب العالمية الثانية

عندما حشدوا جيشاً قوامه 200,000 رجل ، آملين بذلك صد الهجوم الألماني، وفجأة تحول هذا العدد الضخم إلى قطع من الورق أمام التوغل المدرع للجيش الألماني.

ولهذا تحطم الجيش التشيكي، وفر قادته إلى روسيا خلال شهر مارس 1939 م واتعظت تشيكوسلوفاكيا بعدئذٍ بالدرس، وأصبح جيشها اليوم خالياً من المشاة، بل حتى ما يسمونه بفرق المشاة، فهي محمولة في الناقلات المدرعة ، مسنودة ـ علاوة على ذلك ـ بلواء دبابات ولواء مدفعية. وأمام هذا الدرع المتحرك يزول الدفاع الثابت والمنظومات الإدارية، وأيضاً أسلوب المعارضة.. وهو أيضاً.. الخطأ الذي وقع فيه الحلفاء عندما لم يعملوا وسيلة لحماية سفنهم التي تمثل المنظومات الإدارية من (الطوربيدات) المغنطة التي يمتلكها الألمان في الحرب العالمية الثانية مما أنزل أفدح الخسائر بأساطيلهم الحربية، واستيقظوا بعد فوات معظم الأوان.

ولنقف أمام هذه الأمثلة من الحرب حتى تتأكد لدينا ضرورة الدفاع متحركاً خلافاً لما هو معروف في الحروب التقليدية القديمة.

أ ـ يناير 1967 م إقترح خبراء عسكريون عرب، وخبير عسكري روسي برتبة مشير إقامة دفاع متحرك يتكون من سفن صغيرة مزودة بأجهزة مراقبة لتعمل بحركة أوسع على مقربة من شواطىء فلسطين.

ب ـ يقول العميد أريل شارون قائد مجموعة العمليات الجنوبية في حرب سيناء سنة 67 م: «كان واجبي هو تجهيز وإعداد جزيرة دفاعية في منطقة (نيشيسا وبئر وتيم)» ولنر بعد ذلك كيف نفذ الواجب حيث يقول: «استلمت أمر القتال لاختراق الدفاعات المصرية في أبي عجيلة».

ولنرى بعد ذلك أيضاً كيف فشل الدفاع الثابت مهما كان حصيناً أمام الحركة السريعة للقوات البرية المحمولة، وعمليات الإنزال على المؤخرة والأجناب.

جـ ـ يواصل العميد أريل قوله: «كنت أعلم أن المصريـين قد حصنوا هذه المنطقة (يقصد منطقة أبي عجيلة) بدفاعات قوية على امتداد عشر سنوات مضت، وقد ظللنا طوال يوم كامل وهويوم (5 يونيو) نحاول تحريك القوات إلى مواقع الهجوم، في الوقت الذي كانت فيه (بطاريات) المدفعية المصرية تطلق نيرانها علينا بفاعلية شديدة فهبطت خلفها عناصر الإقتحام الجوي من رجال المظلات» إلى أن يقول: «ثم هاجمنا المنطقة الدفاعية من المؤخرة والجانب الشمالي» ثم يقول: . . واضطررنا أمام التحصين المصري إلى إعداد هجوم شامل منسق، وبحشد كبير للمدفعية الإسرائيلية، وخطة نيران كاسحة عـلى الدفاعات المصرية».

هكذا فشلت الدفاعات الثابتة والتي جرى تحصينها سنوات طويلة في أبي عجيلة وحدود الأردن ومرتفعات الجولان، وذلك أمام عمليات الإنزال والتحرك السريع من جميع الإتجاهات. وهذا ـ في حد ذاته ـ تحول كبير، وانقلاب خطير في ميادين التعبية العسكرية.

فهذا أريل شارون يكلف بتجهيز جزيرة دفاعية في (بئر وتيم) ونراه عند نشوب القتال يتحرك بجزيرته ليخترق دفاعات أبي عجيلة، وعندما فتحت المواقع الدفاعية نيرانها بغزارة من خنادقها، وتحصيناتها على الطريقة التقليدية هبط خلفها المظليون، وهوجمت من الأجناب، ثم غمرتها نيران سائلة من الجو فتحول التحصين أسطورة والدفاع الثابت خرافة.

(2) ظهور الطيران في المعارك التعبوية

كان الطيران قديماً، وإبان الحربين الماضيتين، محدودة الفاعلية بسبب قصر مدى عمله، واستخدام قنابل ت. ن. ت وهي أقل تأثيراً من أنواع المفرقعات التي يستخدمها اليوم بما فيها النار السائلة.

إن طراز (النكاستر) ـ غير القادرة على حماية نفسها والقصف نهاراً ـ

البريطانية وليبيراتور و (ب ـ 17) و (ربيبلك) الأمريكية جميعاً أنواع لا تستطيع أن تغادر مطاراتها بعيداً، أو تغيب عنها طويلاً. كما أنها ليست جريئة في القتال لضعفها. وحسبنا هذه الفقرة من التقرير الذي وضعته القيادة الأمريكية عن الحرب الجوية عام 1943 لنتأكد من عدم فاعلية الطيران يومئذٍ. يقول التقرير: «إن القصف كان أقل فعالية مما كان ينتظر منه، وقد جرت تجربته الفاصلة في محاولة قصف مصانع (شوينفورت) وهي تنتج جميع أنواع الذخائر، فكانت نييجة هذه العملية إخفاقاً مؤسفاً، لأن المصانع لم تصب إلا بضرر زهيد يمكن إصلاحه بسرعة» ـ مما أدى إلى الإتجاه للبحث عن سلاح جديد وكان السلاح البحري.

أما في الحرب الحديثة... فبالرغم من أن سلاح الطيران أصبح سوقياً بعيد المدى، شديد التأثير، فإن ميزة أخرى قد صارت له، وهي القدرة على الإشتراك في المعارك التعبوية، والتأثير المباشر عليها، سواء أكان ذلك بواسطة إنزال الجنود والمعدات في المكان والزمان الحاسمين، أم بواسطة القصف والقذائف فوق القطعات المعادية مباشرة. ولا جناح أن نورد ما ذكره (إبراهام بوفيه) الإسرائيلي قائد المجموعة الوسطى في حرب سيناء 1967 م والذي يبين إلى أي مدى يقوم الطيران بدور تعبوي صغير يقول: (نجحنا في إحتلال (نخل) قبل وصول لواء مدرع مصري كان قادماً إليها من الثمد غرباً نحو القناة، ودارت معركة هجومية بشعة إستمرت من العاشرة صباحاً حتى الثالثة ظهراً، ثم تقدمنا نحو مدخل ممر متلا للهجوم، ولقد سهلت المساندة الجوية الإسرائيلية عملياتنا حتى للمستويات الصغرى فوق الصحراء وخاصة في معارك الدبابات).

ويقول المراسل الحربي للمصور: «إشترك الجندي المصري في معارك (أم كتاف) والعدو يسيطر بسيادة مطلقة على الجو فوقه، وخلال ذلك ينزل قواته المحمولة جواً على أجناب قواتنا.

ولقد فرض المقاتل المصري على العدو الدخول في معارك تصادمية

عديدة فوق الصحراء. ويشتبك في الوقت نفسه مع قواته الهابطة من السماء». ثم يقول وفي: «معركة (الطور) دحرنا مدفعيته المضادة للدبابات فاستنجد بالطائرات، وفي (وادي الجميل) دمرنا مدرعاته تماماً، فأستنجد مرة أخرى بالطيران، وفي اتجاه (أم بسيس) حتى (المدق التركي) ثم (سد جريان) كانت القوات الإسرائيلية التي تنزل جواً في الليل تضطر لإشعال القنابل الفسفورية لتحديد المواقع فتحصدها نيراننا».

ويقول العميد إسرائيل تال كذلك: «قام المصريون بهجوم مضاد قوي وعملت الطائرات المصرية فوقنا، وقد تفوقت الدبابات المصرية في هذه المعركة، تساندها الهاونات الثقيلة التي أحدثت خسائر في قواتنا، ولقد صمدنا أمام هذا الهجوم المصري المتفوق حتى وصلت الطائرات الإسرائيلية، إلى أن يقول: . . وجاءت الطائرات المصرية مرة ثانية وعملت فوقنا، واضطررنا إلى معركة معها طوال 3 ساعات، ولكن نيران الطائرات المصرية نجحت في وقف تقدمنا، ولم نتحرك حتى اشتبكت معها الطائرات الإسرائيلية ثم يقول: «استخدم المصريون أعداداً من طائراتهم كانت بالنسبة لنا مفاجأة».

أعتقد أن هذه الشواهد من واقع الحرب السوقية فيها ما يكفي للتدليل على الدور التعبوي الذي يلعبه الطيران المعاصر، حيث ثبت تأثيره المباشر على أصغر العمليات، وهو يقوم بأعمال تعرضية ضد الدبابات والمشاة، ويواكب حركة مجموعات القتال البري في كافة مناوراتها التعبوية المحدودة. ولذا يتحتم على العسكريين ألا يضعوا خطة تعبوية مهما كانت صغيرة حتى يحسبوا لظهور سلاح الطيران فيها كل حساب.

(3) الطيران المنخفض

سبق القول بأن سلاح الطيران الذي كان عاجزاً عن القيام بأدوار كثيرة أصبح الآن قادراً عليها، وهو أمر طبيعي يعزى لعوامل التطور التقني

عبر الزمن، والتقدم الصناعي والفني الذي تمر به الآلة.

وبالنظر لضعف تسليح الطائرة في الماضي، ومحدودية قابلية تحملها فإنها كانت تخشى دائمًا المخاطرة والإقتحام.. أما الآن فالسرعة الفائقة التي تصل لأكثر من 3000 كم/ساعة، وشدة تأثير القصف الجوي، واستخدام أجهزة الكترونية وأنواع من الأشعة، كل هذا أكسب الطائرة مرونة غير معهودة، وجرأة غير متوقعة، حتى أصبح الطيران المنخفض من الظواهر التي قلبت الكثير من نظريات الحرب المعروفة.. وربما أصبح علمًا بذاته في أواخر الستينات، ويجري التدريب عليه شأنه شأن عمليات الإستطلاع أو الإنزال.. ولقد سببت التغطية العريضة لشاشات المراقبة الدفاعية اللجوء إلى مثل تلك الوسائل تفادياً للظهور في أجهزتها، وبالفعل إستطاع الطيران أن يفلت عدة منرات من اصطياد أجهزة المراقبة له بواسطة الطيران المنخفض. كما أن سلاح الصواريخ المضادة للطائرات ساهم ـ هو الآخر ـ في جعل الطائرات تبحث عن إمكان الإغارة من زاوية واطئة جداً، تملصاً من القذائف الصاروخية. وأصبح بالإمكان في الوقت الحاضر أن تغير الطائرة على أهدافها وهي على ارتفاع 300 متر فقط، معتمدة على الأجهزة الإلكترونية المزودة بها.

إن هذه الظاهرة مكنت السلاح الجوي من تحقيق نجاحات تعبوية، وبصورة سريعة حتى جعلت بذلك دور القوات البرية والأسلحة الثقيلة يتضاءل شيئاً فشيئاً.

(4) طغيان السوق على التعبية

لما كانت الأسلحة تقليدية قصيرة المدى، محدودة التأثير، وكانت المشاة راجلة، والإستطلاع شخصياً، فإن مهنة المعركة أو مهنة الميدان كانت لها الأهمية الكبرى (فالختل الفردي، والترصد، وانظر العدو قبل أن يراك! ولاحظ التفصيلات، وتعلم أن تفهم معنى ما تراه، وتوصل إلى

الإستنتاجات الصحيحة..إلخ) هذه أمور كانت مهمة في يوم ما. . بل كان يهتم ـ في ساحة العمليات حيث تجري الأعمال التعبوية في صورتها الكاملة والمطلوبة ـ يهتم بالشكل، والظل، والشبح، والسطح، والحركة الفجائية، والفاصلات المنتظمة، وهذه أشياء كانت تتناسب وأدوات القتال من بشر وأسلحة ومعدات. . ويومئذٍ كانت الأرض حيوية، وكانت التعبية هي مزج العنصر البشري بالسلاح بالأرض بمهارة واتقان، وكانت الصولة بالحراب والصراخ. . وكثيراً ما تحقق النصر بالنجاح في هذه الوسائل من ناحية، ومن ناحية أخرى بحشد الأعداد الهائلة من البشر للتغلب بصعوبة على أعداد أخرى مماثلة. أما اليوم فقد انقلبت المفاهيم الحربية انقلاباً تاماً. . واستبدل بالمشاة الراجلة المشاة المحمولة جواً، ومشاة البحرية، والمشاة المحمولة على الناقلات السريعة المدرعة. . ولم يبق من المشاة إلا الإسم. . وأصبحت الآن الأعداد الكبيرة من البشر، وبدون وسائل حديثة، مجرد مخلوقات حية ولمدة قصيرة حيث تحرقها النيران من الجو أو من مزاغل علب فولاذية متحركة، أو قذائف من وراء خط الأفق!! فلا معنى حينئذٍ للختل الفردي لأنك لا تجد من تختله. . ولا ضرورة للزحف بأنواعه، لأن المسافة مفقودة حيث الحرب متحركة بسرعة الآلة والإتجاه غير معروف، ولا أهمية البتة ساعتئذٍ للمرتسم والظل، والشبح، واللمعان، والحركة، سواء أكانت فجائية أم غير فجائية، لأن الحرب إذا نشبت فإن ساحة العمليات تتعرض للضرب، وتغطى بالنيران دون تدرج في عمليات القتال على الطريقة القديمة والتي كان يستفاد منها فعلاً بمهنة الميدان قبل أو أثناء عملية الإنفتاح. . أما الآن فالإنفتاح يجري أثناء المعركة نظراً لسيادة عنصر المفاجأة، وزيادة قيمة المباغتة.

وعليه فإن كثير جداً من الأعمال التعبوية قد اختفت نهائياً من ساحة العمليات، واستوعبتها عمليات أكبر منها، وهي عمليات السوق. إذ أن المجال أصبح ضيقاً، والفسحة الزمنية أضحت أضيق، الأمر الذي جعل نتيجة المعركة تتوقف ـ أساساً ـ على العمل السوقي الإبتدائي، دون أن يتيح فرصة للتفاصيل حيث تظهر التعبية.

ويحسن أن نورد هنا ما قاله الكاتب الأمريكي (ولتر ميلس) في كتابه «الأسلحة والبشر» بالرغم من أنه يتحدث عن الحرب العالمية الثانية، يقول: «ففي الحرب السابقة كان النصر يحالف القوة البشرية الأضخم، والعدد الأكبر من الأسلحة، أما في الحرب الأخيرة فقد أصبحت الإستراتيجية أهم من التعبية الحربية وأفضل منها. لقد حشد عدد هائل من الجنود، ولكن جزءاً زهيداً منه اشترك في القتال، فالقوة البحرية الأمريكية التي احتلت (تاراوا) مثلاً منيت بخسارة في الأرواح توازي 17 ٪ من عددها، إلا أن هذا العدد لم يتجاوز 18 ألف مقاتل من أصل 15 مليوناً جندتهم أمريكا لتلك الحرب». ثم يقول في الفقرة التالية: «كانت الحروب القديمة عبارة عن اشتباكات دامية بين الرجال على جبهات طويلة، فإذا بالعدد الأكبر من مقاتلي الحرب الأخيرة يتربص في الخطوط الجانبية للجبهة مفسحاً المجال للقوات الآلية والجوية».

(5) إستحالة الإنسحاب بعد الإشتباك

حتمت الحرب الحديثة ووسائلها الفعّالة ضرورة التفكير في نتائج المواجهة العسكرية، حيث الحرب شاملة، والدمار عام، والخسائر فادحة. . وحيث يفقد التدرج في عمليات القتال. . وهي لا تقتصر على مكان محدود، وحتى لو أريد لها ذلك في نية المهاجم فإنه لن يتمكن من تحديدها، وذلك راجع لطبيعة الدفاع السوقي الحديث المتحرك، ومن ثم فإن الهجمات سواء أكانت بالسلاح الجوي أو بالقذائف الأخرى لا بد لها من أن تغير أماكن انطلاقها وإطلاقها، كما أنها تضطر لأن تغير اتجاهها أيضاً. هذا من ناحية الشمول، وعدم إمكانية المناص، حيث الإنسحاب أو التقهقر، بل قد تشتد الضربات خلف الجبهات التقليدية، وتتجاهل القطعات ذاتها ليركز القصف على أماكن معاكس القوى الأخرى، أو معاكس المدن.

ومن هنا يتبين إستحالة الإنسحاب في الحرب الحديثة بعد نشوب

القتال. ومن الحماقة بمكان إجراؤه أثناء المعركة، لقد كان ذلك ممكناً عندما نريد أن نجر العدو إلى أرض أكثر ملاءمة لنا، وهذا فقد معناه الآن ما دامت الأرض لا تشكل عنصراً مهمًا أمام وسائط الحرب المعاصرة، وكان ممكناً أيضاً عندما نريد كسب الوقت لوصول التقويات، والحرب الحديثة لا تترك لنا فسحة زمنية لتحقيق هذا الأمل.. كما أنه ممكن كذلك عندما يراد إطالة خطوط مواصلات العدو أما الآن فقد ألغيت المنظومات الإدارية وخطوطها.. وأصبح التزود بالوقودد بالنسبة للطائرات يتم حتى في الجو.. وللعجلات الأخرى يتم في الميدان، بالإضافة إلى خزانات الوقود الإحتياطية للطائرات والقوات المدرعة.. بل قد تزود به وهي محمولة جواً وبحراً.. وخوفاً من خطر القذائف الموجهة والطيران، أو ظهور السلاح الذري في المعركة ـ التعبوي أو السوقي منه ـ فقد ألغيت عملية التكديس التقليدي تقريباً وأصبح التموين في علب محفوظة يحمل مع القطعات، وكذا الذخائر ومواد الصيانة الأخرى. بل أن كثافة التصنيع وسرعته جعلت مواد الحرب متوفرة بشكل لم يسبق له مثيل، وعليه.. لا اعتبار الآن لقياسات الخط الأول أو الثاني وما إليهما.

وليس أدل على فشل الإنسحاب في الحرب الحديثة من عملية انسحاب القوات العربية في حرب يونيو 1967 من خط رفح أم قطف ـ الكونتيلا ـ شرم الشيخ في ليلة 6 / 7 يونيو! لقد دمر في هذا الإنسحاب ما نسبته 80% من المعدات الحربية. وكان الإنسحاب بعد نشوب القتال غاية ما يتمناه العدو، وحاول جهده للتهيئة لذلك، حيث ضغط على خط المواجهة بقصد دفع القوات العربية للإنسحاب نحو ممرات (متلا) (والجدي) (والجفجافة) والتي ركز على مضايقها بالقصف الجوي مما جعل عملية دخولها أو المرور خلالها خاسرة أو مستحيلة، زد على ذلك ملاحقة الطيران للأرتال المنسحبة، وضربها بالصواريخ، والمساحيق القابلة للإشتعال، والنار السائلة.

فإذا كانت أرض الوطن كلها تتحول في الحرب الحديثة إلى ساحة حركات فلا معنى للإنسحاب والحال هذه. إذن أين المفر؟ كلا لا وزر. تلك هي حتمية الحرب المقبلة، وهي معضلة الحياة والبقاء لسكان الدول القزمية، يوم لا ينفع الإنسحاب من الطامة الكبرى، ولا يجدي التملص فتيلاً!

تحليل ونقد للتعبية القديمة

في الهجوم

تتعرض التعبية القديمة لتعاريف ومبادىء الهجوم بصورة تدعو للضحك أكثر منها للفضول. فهي حينما تبحث الإعتبارات القابلة للتطبيق فإنها تأتي على سلسلة منها مرتبة بطريقة عجيبة للغاية، فمثلاً منطقة التحشد: (هي الأرض التي تحتشد فيها القطاعات استعداداً للحركة المنوي القيام بها، وتكون هذه المنطقة بعيدة بعداً كافياً عن قصف العدو) فأين كانت هذه القطعات؟ وإلى أين تسير!؟ إذا كانت الحرب الحديثة ألغت الجبهة، وألغت ساحة العمليات ولم تعد ثمة قيمة لخط الحدود، بل العدو المهاجم لا يبحث عن حدود الأرض، فهو يبحث عن ثغرات في أنطقة أجهزة المراقبة الدفاعية المتكونة من تشكيلات من القاذفات، والمطاردات، ومجموعات من قواعد صاروخية متحركة، وشاشات مراقبة يديرها بضعة من الأفراد!! وكيف تكون آمنة من القصف إذا كان العدو يملك طيراناً هجومياً بسرعة 3600 كم/ساعة، إن هذه السرعة الخاطفة والمدى البعيد غير تلك الإعتبارات القديمة، وأصبحت الحركة والتحشدات تحت ظروف الحركات الفعلية مستحيلة ومهلكة، فالآن لا تكفي المسافة للأمن بأي حال، بل أصبح توزيع القطعات في السلم مشابهاً تماماً لحالة الحرب. فحتى فرق الإنزال تربض بجانبها ناقلاتها حتى لا تضطر للإقلاع إلى أماكن أخرى، إذ أن الوقت لا يسمح من جهة، وسرعة الحرب لا تمكن من جهة أخرى، ثم نأتي لمنطقة الإجتماع: (هي منطقة من الأرض تخصص لتتجمع فيها القطعات،

ولتتهيأ للحركة المنوى القيام بها، يتم اختيارها من الخريطة من قبل التشكيل الأعلى، وتقوم الكتيبة بتأشيرها، ويجب أن تكون أمينة وبعيدة عن القصف، كما يجب أن تتوفر بها طرق جيدة لدخول وخروج العجلات، تكون على بعد يتراوح بين ميل وخمسة أميال من الجبهة، وتوزع فيها الذخائر والأرزاق وتشبك الأجهزة اللاسلكية). لست بمتصور لعملية تأشيرها من قبل الكتيبة، وكيف يتسع الوقت لهذه الكتيبة حتى تؤشر قطعة من الأرض، ولا بد أن تكون بها مداخل ومخارج جيدة؟! إن الوقت الذي نبحث فيه عن هذه الشروط ونقوم فيه بالتأشير كفيل بأن يجلب عدداً من القذائف الموجهة، أو طيراناً سريعاً يخلصنا من الكتيبة ذاتها!! ثم أن الحوامات والطاويات والناقلات المدرعة لم تعد الآن بحاجة لطرق جيدة، إن الحوامة التي تحمل 140 جندياً بكامل معداتهم، وتجتاز كافة المواقع الطبيعية والإصطناعية، والتي قيل فيها عند تدشينها (أنها وسيلة نقل في الخطوط الأمامية يؤثر ظهورها دون شك في الخطط الحربية في جميع أنحاء العالم) إن عدداً منها قادر على قذف كتائب عبر أي أرض ودون حاجة لتأشير. ثم أن أسراباً من الناقلات الضخمة قادرة على إنزال جحافل في أي مكان. فقد أصبحت عملية إنزال اللواء تستغرق 15 دقيقة فقط. وهناك دبابات تسوية قادرة كذلك على اكتساح الموانع من طريقها بنفسها. ثم كيف تكون في مأمن وهي تبعد عن الجبهة مسافة تتراوح بين ميل واحد ـ و 5 أميال؟ «ورأينا مدى الصواريخ الذي يصل إلى مئات الأميال» وسلاح الجو، وخاصة إذا تصورنا أن خلف هذه الجبهة تكمن وحدات الصواريخ وتربض الطائرات. ثم أي تشبيك هذا للأجهزة؟ إن الأجهزة اللاسلكية الآن لا تحتاج إلى تشبيك ولا إلى نداء بض، بل يكتفي بما في التعليمات الإبتدائية فقط.

ثم نأتي لمكان التشكيل، وتقول التعبية القديمة (أنه يجب أن يكون سهل التمييز، ومؤشراً بعناية، وقد يؤشر بالأضوية، كما يجب أن يكون بعيداً عن رصد العدو وتأثير نيران أسلحته المصوبة) إذا كانت منطقة الإجتماع تبعد مسافة تتراوح بين ميل واحد ـ و 5 أميال عن الجبهة. . فكم

يكون بعد مكان التشكيل بعدئذٍ؟! وكيف ينجو من الرصد الحديث؟ بل كيف ينجو من صاروخ مثل هذا النوع (هت) و(ميلان) و(تاو) و س 11 ، س 10 والتي يصل مداها لأكثر من 10 كم؟ بالإضافة إلى كونها محمولة على عجلات متحركة وموجهة، وقادرة على الإغارة وتدمير هذه المنظومة من الأماكن المتعاقبة، بينما نحن نؤشر ونستطلع. هذا علاوة على الطائرات التي لم تكن موجودة عندما كانت الجيوش تتحرك راجلة على الطريقة النابليونية بسرعة 120 / خطوة، في الدقيقة تدعمها منظومات إدارية من البغال والعربات والخيول مروراً بمناطق التحشد والإجتماع والتشكيل. . ولا بأس في هذا، حيث الطرف الآخر يتحرك كذلك ببطء، بل بسرعة 70 خطوة/ دقيقة، لأن جيش نابليون هو الذي كان يسير بسرعة 120 خطوة/دقيقة، وبذلك انتصر بانتزاع المبادأة، وفوائد السبق بالعمل. وحتى في الحرب العالمية الثانية كانت سرعة الدبابة 10 أميال/ساعة والآن أصبحت أضعاف هذا الرقم.

أما اليوم فكيف نخفي هذه الأماكن عن طائرات الإستطلاع الجوي مثل تي يو 95 ، س. آر 70 ومن عجلات الإستطلاع الأرضي المدرعة مثل، ب ردم، ب. ت. آر والفرت؟

وليس أدل على أن هذه التعبية استنتجت أيام الجيوش الراجلة أو الراكبة على الحيوانات، والمسلحة بالبندقية العادية، من أننا ندرس فيما يخص العمل في مكان التشكيل مايأتي: «الوقوف أو الجلوس أو الإنبطاح حسب الأوامر ـ ثم تدقيق اتجاهات الحك للأهداف ـ تركب الحراب! وتدفع إطلاقة في الحجرة وتؤمن البندقية». . !! إلى أن تقول المحاضرة: «وعند اجتياز خط الشروع تدفع مسامير الأمان إلى الأمام»!! وإني أعتقد أن هذه البنادق التي عاصرت تلك التعبية هي البندقية 303 الإنجليزية أو الإيطالية القديمة، والتي يستعملها أهل البادية في الصيد ويسمونها (بومشطة) و (أم حريبة).

ثم أنه اليوم يوجد (الحك المغناطيسي الذاتي التصحيح) والذي يحدد لك الإتجاه مع ظهور إحداثيات المكان المطلوب ذاتياً، وهو مثبت على العجلات. كما أنه غير متصور (الوقوف أو الجلوس أو الإنبطاح) ـ إذا كانت المشاة الراجلة قد ألغيت في الجيوش الحديثة وحلت محلها مشاة محمولة داخل عجلات مدرعة سريعة الحركة والإنتشار وتمكن الجندي من القتال من داخلها حتى فوق الهدف، مع أن هذه المرحلة غير موجودة الآن حيث الدفاع متحرك والضربات توجه نحو الأهداف الحيوية داخل البلاد ذاتها والجبهة مفقودة البتة.

ثم نأتي لتعبية خط الشروع والذي من شروطه حسب التعابير القديمة «أن يؤشر ولو بأشرطة على الأرض» ومن تعاريفه (أنه هو الذي تجتازه القطعات الأمامية في ساعة الصفر) بيد أن هذا الخط الوهمي قد اختفى الآن حيث لا معنى له، لأنه ذهب مع الجبهة التي راحت إلى غير رجعة (ولو في هذا العصر على الأقل)، كما أن الحرب الآتية قد تنشب في أماكن أخرى بعيدة عن خط الشروع المتصور بل قد تنتهي دونما حاجة لاجتيازه، فعند ساعة الصفر ينشب القتال ولكنه بضربات إبتدائية بواسطة الطيران، والصواريخ من قواعد محضرة سلفاً، ولا تتحرك نحو خط الشروع بصورة عمودية عليه، بل تتحرك تجاه قواعد أخرى بديلة داخل قطاع الدفاع السوقي. ومن هنا يفقد التعريف الذي يربط ساعة الصفر باجتياز خط الشروع. . يفقد معناه كلية.

ثم نأتي لتعابير أخرى تتعلق بالهجوم منها مثلاً: (جماعة المحافظة على الإتجاه) و (جماعة الملاحة ليلاً) و(مد أشرطة بيضاء على محور التقدم) و(وضع فوانيس على طول الطريق) و(ترك إدلاء لربط الوحدات) و(إتخاذ شكل الأشباح المحيطة عند إنارة المنطقة بالمشاعل من قبل العدو) و(وضع منديل أبيض على ظهر أحد الجنود ليلاً للمحافظة على الإتجاه عند المسير

بالحك في التقدم أو الدورية. . ثم وضع مجموعة من الحصى باليد وإسقاطها بالتوالي تبعاً للمسافة المقطوعة. . !!).

إن هذه التعابير هي التي قال فيها (ليدل هارت) قوله الذي ذكر في بداية الفصل الثالث:«فهي لم تعد ملغاة فحسب، بل سخيفة بالنظر لتطور الأسلحة»! إنها أمور إذا صدقها العقل فلعلها تناسب رجال العصابات، وقطاع الطرق، أو قوافل الإبل. ولكنها لا تتفق بأي حال مع العمليات التعبوية التي تجري تحت ظروف أسلحة ذاتية مركبة على عجلات مدرعة متحركة، ومزودة بأجهزة مراقبة مثل (رامارك) و(جهاز اقتفاء الأثر) و(فولسكان) و(كرة الملاحة) التي يصل مداها إلى 1500 ميل!! و(جهاز قياس البعد).

وقس على ذلك عملية الهجوم على المانعات والتي تقول فيها التعبية القديمة: (على آمر الفصيل بعد إجراء استطلاعه الشخصي المفصل للمنعة. . عليه أن يمكن غالبية رجاله من استطلاعها بأنفسهم). والمرء لا يتصور الآن قيمة المنعة بالنسبة للأهداف الحيوية التي يوجه نحوها ومنها المجهود الحربي، والتي يكفل تدميرها إحداث الشلل والإنهيار، وصولاً إلى غايات السوق السياسية العليا. ومع تسليمنا بتفاصيل الواجبات للوحدات الصغرى ـ ولكنها الوحدات الصغرى (النشطة) ـ وإيماننا بأن لكل وحدة صغيرة هدفاً مناسباً ومحدوداً أيضاً ضمن الخطة الشاملة للحرب، إلا أن هذا الإستطلاع الجماعي لهدف صغير جداً، وبطريقة إعتيادية. . وعن كثب، إنها شروط مستبعدة، بل غير واقعية الآن.

إن هذه التفاصيل، التي تتضمن، من ضمن ما تتضمن، إرتفاع المنعة ومحيطها. . والبعد بينها وبين مثيلاتها. . وعادات العدو فيها. . إن هذه المعلومات نيطت في الوقت الحاضر ـ إذا سلمنا بوجود منعات ـ بأفراد الرتل الخامس من الجواسيس القاطنين داخل بلاد العدو. . أما أفراد الفصيل فهم أبعد ما يكونون من مثل هذه الإجراءات في الحرب الحديثة. إن الإستطلاع

اليوم لا يمكن إجراؤه من وراء التبات وعن طريق سلسلة من المثابات. . وبواسطة جماعات معينة يعرفها العسكريون برموزها التعبوية. . إنه يجري في الوقت الراهن بوسائل متقدمة للغاية. إن طائرة استطلاع حديثة قادرة على أخذ مئات الصور وإرسالها رأساً في أشرطة مصورة حيث تظهر على شاشة الإستقبال في غرفة العمليات المختصة. إن الطيار الآن استغنى كلية عن مراقبة الهدف والعمل باليد، بل ثمة أجهزة حديثة ركبت بالطائرات تعطي إشارة الرمي عندما تكون الفريسة في الفخ. . وذلك بواسطة العقل الإلتكتروني والعين الإلكترونية.

في الدفاع

تمر العمليات التعبوية الدفاعية قديماً بسلسلة من الإجراءاتِ يستحيل اتباعها الآن، وهي تتلخص في إصدار وتلقي مجموعة من الأوامر الإنذارية ثم أوامر حركات، فأعمال إستطلاعية راجلة ومتكررة، وأن تكون على جميع المستويات. . وبعد ذلك تتحرك القطعات حيث يبدأ الحفر والتحصين. . وإقامة الموانع والعقبات أمام العدو المهاجم. . ! وإذا خرجنا بحصيلة حربية من الفصول السابقة فإننا نستخف ـ دون شك ـ بهذه الأمور التقليدية القديمة.

إن إجراءات الأوامر الإنذارية والحركات وتعقيدها كان يتفق (في الماضي) والحركات العسكرية عندما كانت الجيوش راجلة. . ولا مندوحة لها من ملاقاة الخصم إلا على الحدود، إذ أنه من الصعوبة بمكان أن يدخل المهاجم في سفر طويل مضن حتى يتوغل في بلاد العدو، وقد جربها نابليون مع روسيا عام 1812 ورجع يجر أذيال الهزيمة والخسران، وكذا مع إسبانيا ـ وكلا الطرفين يمر بنفس الفترة الزمنية التفصيلية، ولا جناح على أحد حيث الحركة بطيئة، والوقت أطول. . ولا خوف من أن يشن أحدهما هجوماً خاطفاً بالطيران والصواريخ، أو أن تتوغل غواصاته وزوارقه تحت وفوق

المياه لتباغت شواطىء العدو. . كما أنه لا يخشى أن تمر الأقمار الصناعية أو طائرات الإستطلاع السوقي لتسجل في لمح البصر صورة للتحركات من مثابة، ومن قفزة تعبوية إلى أخرى. . وموقف القطعات في الإستعداد والراحة، ريثما تأخذ الأوامر الإنذارية والحركات مجراها الذي لا يمكن التجاوز ولا على خطوة واحدة منه. . ولا بد من مرور فترة زمنية بين الإنذارية والحركات، وهكذا تنتهي رحلة التحضير، ثم تأتي رحلة التنفيذ. وتبدأ فيها الأعمال حسب الأسبقية. . فهذا جندي ومعه رشاشة (برين) يحرس الجبهة، ويمنع توغل العدو إلى داخل المواقع!! وهذا خفير يجري تغييره كل نصف ساعة منعاً للإرهاق. . !! ومهمته مراقبة الجبهة حتى لا يباغت العدو الموضع ويربك أعمال الحفر والترصين. . !! وخلف تلك القبة، وتحت هذه الشجرة أمكنة فصائل توزع عليها المجارف والمعاول. . وأكياس الرمل (الفارغة) والوقت طويل يسمح بملئها بعد ذلك بالرمل. . وفي ذات الوقت يكون المهندسون قد باشروا إحاطة المواضع الدفاعية بموانع وأسلاك شائكة بادئين طبعاً (من اليسار إلى اليمين) ومؤملين نجاح المقاومة عند الضرورة على مساعدة الأسلاك العاثورية والمعرقلات الواطئة التي يصل ارتفاعها أحياناً إلى 9 عقدات. . وتجري في الوقت عينه مراقبة الحفر ومراجعة المقاييس، ومن الضرورة ردم ما أخل في إنشائه بالأبعاد المتفق عليها بالقدم والعقدة!! وفي النهاية ينظر إلى الموضع من وجهة نظر العدو وتجري الغارات الوهمية عند الغسق والفلق!!

لعل هذه الدروس والإجراءات موجودة ومحفوظة عند معظم العسكريين في العالم حتى الوقت الحاضر. . بيد أن العمل بها والركون إليها هو الذي أخذ يتباين من دولة إلى دولة، ومن جيش إلى آخر، والسبب هو أن الجيوش التقليدية تنظر إلى الحرب من وجهة نظر تقليدية. . وبحجة أن هذا هو السياق الذي تقدر أن تمارسه ولا تقدر على سواه. . وأن أسلحتها ومعداتها هي التي تفرض عليها القتال التقليدي. وهذا المنطق رغم ما فيه من صحة فإنه غير واقعي، لأن العدو لا يفترض فيه أن يكون تقليدياً

مثلك. . وهذه حقيقة يدركها حتى التقليديون أنفسهم. . ولكنهم لا يرقون إلى مستوى العمل المضاد!!

إن ثللاً من العسكريـين الذين تعلموا الفنون الحربية على أسس نابليونية أخذوا يفسحون الطريق بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لرعائل من العسكريـين المحدثين المتأثرين بمدرسة (ليدل هارت) الذي أماطت كتبه اللثام عن حقائق مذهلة في دنيا الحرب، وهي: (ثورة في فن الحرب) و(نظرة جديدة إلى الحرب) و(إستراتيجية الحرب) ـ أظهرت هذه الكتب ما نحن عليه الآن من حيث الواقع الذي تتأثر به حياتنا العسكرية. . وما علق في أذهاننا من نظريات حربية قديمة بالية تتأثر بها أفكارنا.

وفي هذه الكتب يحكم على السوق القديم والتعبية القديمة بالإعدام، واللاعودة لها، إلا إذا استنفد العالم المخزون الذري والنووي، وحطم به أوجه الحضارة الحالية واختفى الطيران وسلاح الصواريخ. . ونشأت الحياة من جديد في الدنيا هذه فيومها يمكن الرجوع إلى الوراء للأخذ بالنظريات السوقية والتعبوية النابليونية، ولندخل بها حرباً كالحرب العالمية الأولى والثانية كذلك، شريطة ألا نذهب بها أبعد من هذا إذا أعاد التاريخ نفسه!!

فكيف بالله يعتمد على خفير تبديله كل نصف ساعة. . وعلى حارس برشاشة خفيفة يحميان الموقع ويمنعان العدو من التوغل أو المباغتة؟!. . كيف يعقل هذا الأسلوب من الدفاع في عصر الصواريخ الموجهة. . والقذائف الذرية بمختلف أنواعها؟. . ثم كيف نتمكن من النظر إلى الموقع من وجهة نظر العدو إذا كان العدو ينقضّ بطائرات أسرع من الصوت. . أو يرمينا بالقذائف من مئات الأميال إن لم أقل آلافها؟!! وإذا كان العدو أيضاً ينظر إلى المواضع بواسطة القمر الصناعي أو طائرات التجسس على ارتفاع غاية في العلو؟!! أما مسألة الغارات الوهيمة عند الشفق والغسق فهي عادة قديمة لم يكن العسكريون أغبياء حتى يهجموا خلالها.

إن الأوامر الإنذارية في الجيوش الحديثة لا تصدر قبيل الحركة، بل

هي معطاة سلفاً، ولكافة أجهزة الدفاع السوقي لتكون على استعداد لتنفيذ خطة (الرد المرن) و(الدفاع المتدرج) إذا كانت غربية وتنفيذ خطة معاكسة المدن إذا كانت شرقية. والدفاع السلبي أو الإيجابي المحدود إذا كانت من (الدول الأخرى).

لقد سبق القول بأن الدفاع أصبح متحركاً، ولا وجود للمواقع الدفاعية ولا (لتبتين في الأمام وتبة في الخلف) وإن كانت هناك ملاجىء أو حفر فهي أولاً بواسطة آلات حفر حديثة، ولا مكان للقدم والعقدة ونصف العقدة فيها. وهي ثانياً معمولة لا للدفاع عن الحدود والقتال منها بقدر ما هي للوقاية ضد الإشعاعات الذرية والقذائف، أو لطمر بعض المواد الأخرى المعينة.

في التقدم

أمّا ترتيبات التقدم المتبعة في الجيوش التقليدية فشأنها شأن إجراءات الهجوم والدفاع، فهي غاية في السخف والغباء.. فمن حيث التدريب له يهتم في العادة بالمسيرات على الأقدام مسافات طويلة، متأثرين في ذلك بحملة نابليون على روسيا في أوائل القرن التاسع عشر وأواخر الثامن عشر، وكذلك بحروبه ضد النمسا وحلفائها في وسط أوروبا عندما كان يزحف فجأة بآلاف الجنود الراجلين والمحملين بأمتعتهم وتجهيزاتهم، وأحياناً يأمرهم نابليون بالوقوع في النهر حتى يكونوا جسراً من أنفسهم ليعبر عليه الجيش. وهذا هو وضع الجيش تلك الأيام.. حيث لا سيارات ولا طائرات نقل. والإعتماد كل الإعتماد على المجهود العضلي للإنسان. أما الآن فالوسائط المتوفرة لا تحتاج بعد لكلام.

أما من ناحية تنفيذ هذه الصفحة من صفحات المعركة فالتقدم يتخذ ترتيباً معيناً من المحافظة عليه.. وقد وضعت جميع أسس التقدم ومبادئه على أساس أن القطعات تتحرك على الإقدام بالسير الإعتيادي.. وعلى الأكثر

تطوراً فبالسيارات العادية، وهذا نادراً ما يعتبر، إنما التركيز ـ للأسف ـ كل التركيز على اعتبار التقدم مشي عادي. فهذا نسق في الأرض المفتوحة وله خواصه وأوصافه. . وهذا رتل مفرد أو زكوى يسير وفقاً لظلال الأشجار. . وهذا ممثل من وحدة فرعية له من القابلية والمرونة ما يمكنه من الهرولة إلى وحدته الأصلية عند اللزوم. . واللحاق مرة أخرى بالهرولة كذلك إلى المقر الملحق به! وهذا كشاف مزدوج يتنبأ عن الجبهة وتحركات العدو المضادة. وكأن معه جهاز (فولسكاف) أو(راماك). . وهكذا تتوالى مشاهد التقدم المضحك في عصر الذرة والطيران والصواريخ، لتقدم لنا على مسرح العمليات تمثيلية هزلية مخضرمة لتصل الماضي البعيد البائد بالحاضر الحي المتجدد.

فلنعلم أن الجبهة ـ كما تكررالقول ـ مفقودة في الحرب الحديثة، وأن العدو لا تجده إذا تقدمت نحو خط الحدود الوهمي، أو افترضت ساحة حركات محتملة، أنه سيوفر عليك مشقة التقدم والسير على الأقدام، وأتباع الظلال، وذلك بأن ينقل القتال بسرعة خاطفة إلى المناطق التي تحركت منها. إنه سيتركك بدون أرض خلفية عندما تتحول أرض الوطن إلى ساحة حركات وميدان قتال شامل. . وحتى لو سلمت نفسك للأسر عندئذٍ قد لا يقبلك!! وهكذا تصبح الجيوش التقليدية أشباحاً هزيلة وقشوراً متطايرة. هذه الجيوش التي يقول عنها (ليدل هارت) في كتابه (نظرة جديدة إلى الحرب): «لا تمثل إلا حاجزاً من الورق، وستجد نفسها على الهامش إذا ما تحركت عشر فرق منقولة جواً بخمسمائة وألف طائرة نقل».

ووفقاً لما تقدم ذكره كله فإن نظريات التخطيط والتحصين. . ومهنة الميدان والرصد من تقسيم الأرض إلى أمامية ومسافة ومتوسطة. . إلخ والتفتيش من (اليسار إلى اليمين) على الطريقة الإنجليزية، (وظهور الأشباح أبعد أو أقرب مما هي عليه) وأساليب تقدير المسافة. . والحك الزئبقي. . جميعها عفى عليها الإنقلاب الخطير في المعدات والعمليات والفكر.

الفصل الخامس

تغيّر مبادئ الحرب

لا أعرف تماماً لماذا تجد عناداً أعمى، وإصراراً عبيطاً عند قولك بتغير مبادىء الحرب؟ وقد لا تجد غرابة أو معارضة إذا قلت جدلاً بتغير آيات سماوية!! إن مبادىء الحرب ليست بقرآن أو حديث شريف، إنها تخمينات من صنع الفكر العسكري على ضوء ما يستخدم من سلاح وبشر، ومعدات، وأهداف، وحيث أن هذه العناصر قابلة للتطور والتغير، إذا من الغباء أن نبقى على نفس المبادىء التي تحكم عناصر غير هذه العناصر الجديدة. والآن لا يخشى العسكريون التقدميون من أمثال الفريق الركن (صالح مهدي عماش) و (ليدل هارت) و(بوفر) في أن يعلنوا صراحة أن مبادىء الحرب قد تغيرت، بل انقلب بعضها رأساً على عقب كما سنرى.

(1) الإقتصاد في القوة

هذا هو أول مبدأ من مبادىء الحرب قد انقلب تماماً. . وأصبح عكسه هو الصحيح أي (عدم الإقتصاء في القوة!! فقد قلنا: إن الحرب الحديثة تبدأ (بضربات إبتدائية) مركزة ومدمرة، وأنها تتوخى أهدافاً حيوية يؤدي ضربها إلى إنهاء الحرب في أقصر وقت، وذلك بشل مراكز معاكس القوى، أو معاكس المدن.

ومن هنا يتضح لنا أن القوة التي كنا نقتصدها في الحروب التقليدية القديمة لنستخدمها في الوقت المناسب تتحول إلى رماد في الدقائق الأولى

لنشوب القتال في الحرب الحديثة، فالحرب شاملة، والعمليات تغطي كافة أجزاء البلاد، ولا مكان لإدخار أي قوة حيث لا مناص من مهاجمة جميع الأماكن المحتملة في وقت واحد وقصير. بل تكون عملية الإنقاذ والحال هذه هي الملاقاة بجميع القوة في محاولة لإصابتها لأهدافها المخمنة سلفاً. . وأن يقضى عليها وهي تحاول الوصول إليها أفضل من أن يحدث ذلك وهي عاجزة تنتظر النهاية، وليس أدل على ذلك من تغطية 23 قاعدة طيران وصواريخ في أنحاء متفرقة من ج. ع. م في حرب يونيو 1967 م تمتد من أسوان في أقصى الجنوب إلى العلمين والغردقة شمالاً وشرقاً، ولم ينته زخم الهجوم الجوي على هذه القواعد حتى تأكد من تدميرها نهائياً. وما نجا إلا العدد اليسير من الطائرات التي جازفت بالإقلاع تحت شدة الضربات الإبتدائية الجوية. . واستطاعت أن تفعل شيئاً رغم الظرف السيء، ولكن على كل حال فهي أحسن حظاً من التي أدخرت طمعاً في تخفيف الضربات لتقوم بالعمل المضاد.

لقد كان يدخر في قوة معينة كمبدأ من مبادىء الحرب والتي نسمع عنها كثيراً من المعارك (للقيام بالهجوم المضاد العام) والذي خصصت له فرقة مدرعة في حرب يونيو 1967 م اتخذت مواضعها خلف خط الدفاع الأول، بيد أن المباغتة السوقية الخطيرة التي استخدمها العدو بنقل قواته جواً إلى ما وراء الجبهة بعد أن دمر القوة الجوية وقواعد الصواريخ ـ من مبدأ الإقتصاد في القوة أسطورة قديمة. . مع العلم بأن هذه الحرب المذكورة لم تستخدم فيها أسلحة ذرية تعبوية أو سوقية، ولم تستخدم فيها كذلك الصواريخ الموجهة البعيدة المدى من أي من الطرفين. . إلا أن أسلحة تقليدية حديثة قد استخدمت،زد على ذلك (النار السائلة) و(المسحوق البارودي) والحرب اللاسلكية والنفسية.

(2) التحشد

يقول الفريق الركن (صالح مهدي عماش) في كتابه (الوحدة عسكرياً) «إن حشد قطعات على محور ما، لا يعني أقل من أن تكون عملية حشد غبي في مجزرة مروعة بتأثير ضربات العدو الذرية على مناطق التحشد».

إن مبدأ التحشد هو الآخر قد تغير تماماً، فلم يعد يعنى بحشد البشر والمعدات أكداساً خلف الجبهة، لتقوم بالتعويض عند حدوث خسائر في مكان ما من مسرح العمليات، أو أن يقوم هذا الحشد بهجوم جبهوي عنيف لخرق جبهة العدو عنوة، وصولاً إلى الهدف من أقصر طريق، أو لخلق جبهة معكوسة بعد الإنفتاح يمنة ويسرة. . إن مثل هذا التحشد غاية ما يتمناه عدو ينوي استخدام أسلحة ذرية سواء أكانت رؤوساً نووية فقط، أو قنابل من أي عيار، إن التحشدات في مثل هذه الحرب تشكل أهدافاً مغرية مهما كان نوعها، إنه من الخطورة بمكان، ومن الخطل أيضاً، أن تحشد أسراب من الطائرات في قاعدة واحدة، أو أن تكدس مستلزمات الشؤون الإدارية في مكان واحد، أو تحشد فرق من الجيش دروعاً أو مشاة في موضع واحد، أو مواضع متقاربة بحيث تقع داخل إحدى دوائر التأثير الذري، إن السلاح الذري والنووي لا يقصد بهما القنابل الذرية والنووية ـ فحسب ـ والتي تسقط من الطائرات كما حدث في هيروشيما مثلاً، ولكنه يشمل أيضاً القنابل الذرية والنووية التي قد ترمى بواسطة المدفعية أو التي تحملها الصواريخ العابرة للقارات والمتعددة الرؤوس. فسلاح (مايك) الذري يرمى من الأرض إلى الأرض، ويحدث دماراً تاماً في دائرة يصل قطرها إلى قرابة 3 أميال. أما عمق نقطة الإنفجار فهو 175 قدماً. وعليه لا بد من إعادة النظر في مبدأ التحشد. فبالنظر للأسلحة التقليدية كان الحشد كثيفاً ليؤمن أسناداً قريباً متبادلاً، وحيث تتغلب قوة بشرية على قوة بشرية أخرى بالعدد الكثير وبقوة نار الأسلحة التقليدية التي يملكها الطرفان. . وحيث مسرح العمليات

لا يسمح بالمناورات الواسعة، ولا يعطي حرية للحركة، نظراً للسرعة المحدودة، وقابلية العطب والأعياء لوسائط القتال، وقد استبدل بحشد المعدات والبشر والشؤون الإدارية في الحرب الحديثة تحضير وسائط الهجوم والدفاع السوقي، وتعبية القدرة والفعاليات أثناء السلم حتى لا تحدث ثغرات قاتلة عند شن الهجوم الخاطف. كما يتمثل التحشد في زيادة الإنتاج زيادة تؤمن الصمود عند تعرض مرافق معاكس المدن للشلل ولو لوقت قصير. وأيضاً تأمين المخزون الكافي من معاكس القوى حتى لا يصاب بالضمور أثناء إسداء وتلقي الضربات الإبتدائية.

فهل يعقل الآن أن نتبع الطريقة القديمة في التحشد حيث تحشد ثماني فرق في جبهة عرضها 15 ميلاً للقيام بعملية خرق مجاله 16800 خطوة فقط، وهو ما فعله اللنبي في ساحة فلسطين (سبتمبر عام 1918 م) في حربه ضد الأتراك؟!! إنها مجزرة مروعة إذا أجريت تحت ظروف الحرب الحديثة والأسلحة الفتاكة السالفة الذكر.

(3) المباغتة

إذا كان ثمة تغير طرأ مع هذا المبدأ فهو زيادة أهميته أكثر من ذي قبل. وأضحى من المستحيل العمل ضده، وإحباطه إذا قدر للعدو أن يستخدمه، وذلك راجع للسرعة المذهلة، والقوة التدميرية التي تتميز بها وسائط الحرب الحديثة، ووسائل القتال المتطورة. وبالنظر لشمول الحرب في الوقت الحاضر فإن ميدان تطبيق هذا المبدأ صار واسعاً جداً لدرجة أن تتوقع المباغتة في أي مكان من أرض الوطن، وعلى أي هدف من الأهداف سواء أكانت من معاكس القوى أو معاكس المدن. . ـ أقول أصبحت المباغتة عنصراً هاماً من عناصر الحرب النفسية وتحطيم الأعصاب. ولا سبيل ـ والحال هذه ـ إلا أن تكون أجهزة الدفاع السوقي في حالة تغير مستمر واستعداد دائم. وهذا هو ديدن أجهزة المعسكر الشيوعي، والمعسكر الرأسمالي الآن، إبتداء من

قسمي برلين الشرقي والغربي، وامتداداً شرقاً وغرباً حتى مضيق برنغ.

(4) الأمن

إذا كان الأمن في الحروب التقليدية القديمة وفي لغة العسكريـين هو أن:

1 ـ نؤمن خط الشروع.
2 ـ نؤمن مناطق التحشد.
3 ـ نؤمن الأهداف الحيوية.

فإن الأمن في ظروف اليوم لا يقتضي تأمين هذه الأشياء فحسب، بل أصبح معناه أشمل، ووسائله أصعب.

إن الأمن يقتضي الأمور الآتية:

1 ـ إخفاء كافة الأهداف الحيوية عن تصوير الأقمار الصناعية.
2 ـ إخفاء كافة الأهداف الحيوية عن تصوير طائرات س. ر/ 71 وما يماثلها.
3 ـ إقامة القواعد المتحركة حتى لا يسجل محلها.
4 ـ تأمين قدرة الدفاع من جميع الجهات، وعلى أن يغطي كافة الأهداف المدنية والحربية.
5 ـ تغطية أرض الوطن كلها بشاشات المراقبة كإجراء دفاعي.
6 ـ إعداد وسائط قتال من الطراز الأول بحيث تكون تحت الإنذار باستمرار، كإجراء دفاعي وهجومي في آن واحد.
7 ـ مكافحة أعمال التجسس داخل الوطن كإجراء سلبي دفاعي.
8 ـ العمل على إدخال شبكات التجسس داخل أرض العدو كإجراء إيجابي هجومي.
9 ـ تأمين الجبهة الداخلية، وحمايتها من التحريض المعاكس.

10 ـ الرقابة الشديدة على موظفي السفارات الأجنبية وجماعات السواح . . ومراسلي وكالات الأنباء والصحف، وجميع الهيئات، والجاليات الأجنبية.

11 ـ إقامة جهاز إستخبارات يغطي نشاطه كافة المجالات . . ولا يعد ذلك إجراء ضد الحرية . . فالولايات المتحدة الأمريكية تملك أضخم أخطبوط تجسسي في العالم يشمل أمريكا وخارجها، ولا يعتبر الشعب الأمريكي نفسه مستعبداً، بل يشعر بالأمن والطمأنينة كلما أحس بامتداد أصابع هذا الجهاز الخطير في كل مكان.

12 ـ وحيث أنه من الصعوبة بمكان إخفاء الأهداف المدنية والعسكرية أمام سطوة الإستطلاع الحديث ـ فالإجراء هو تغطيتها بوسائل الدفاع الجوي المختلفة.

13 ـ أما مبدأ التفاؤل، والمرونة، وإدامة المعنويات، والتعرض، والشؤون الإدارية . . فهي لا زالت ثابتة إلى الآن.

الفصل السادس

تغيُّر المناورات السَّوقيَّة في الحرب الحديثة

(1) المناورة الخارجية

لم تعد المناورة الخارجية في الحرب الحديثة هي مجرد عملية عسكرية بحتة تتحرك فيها القوات من مناطق تحشد متباعدة لتلتقي خلف، أو على، أو أمام الهدف. . إنها أصبحت تطرق ميادين واسعة للغاية في عالم اليوم، وهي ـ كما يعرفها (ليدل هارت) ـ تبدأ بالأعمال السياسية، بما في ذلك استغلال الأمم المتحدة، ثم تتدرج حتى استخدام السلاح الذري!! ويؤيده في ذلك (أندريه بوفر) القائد الفرنسي الذي يكشف لنا حقيقة رهيبة كنا نعتقد أنها من صنع واختصاص السياسيين، وإذا بها من تخطيط الجهاز العسكري لدول الغرب. إن (بوفر) يكشف بوضوح في كتابة (مدخل إلى الإستراتيجية العسكرية) أن فرق المرتزقة التي يقذف بها هنا وهناك لتدمير إمكانيات شعوب العالم الثالث أو التي تقع تحت مصطلح (الدول الأخرى) وتهريب الأسلحة، وإرسال الأخصائيين و الخبراء، تحت أي إسم، جميعها أعمال عسكرية تشكل في جملتها صيغة المناورة على الخطوط الخارجية. وعلى هذا الإعتراف الخطير يمكننا بكل تأكيد، ودون أي تحفظ، أن نقيس تهريب المخدرات والحصار الإقتصادي ودفع كميات هائلة من المسكرات وألعاب القمار ووسائل اللهو العابث الدنيء، وإهالتها على دول العالم الثالث (الدول الأخرى) إنها جميعاً من أعمال المناورة الخارجية. وتشمل هذه المناورة في العصر الحديث كذلك الحرب النفسية والإقتصادية، وشبكات التجسس، وطائرات الإستطلاع السوقي، والأقمار الإصطناعية. ويؤكد

(أندريه بوفر) على أمرين مهمين في هذه المناورة هما: التهديد بالقوة العسكرية والخط السياسي . . وعليه فإن زمجرة الأسطول السادس الأمريكي في البحر المتوسط والسابع في شواطىء فرموزاً، والسابع عشر في المحيط الهندي، وانتشار 70 قاعدة في غرب أوروبا وشمال إفريقيا، ومد أصابع المخابرات فوق العالم. . وتغطية أجوائه بالأقمار الإصطناعية، وشراء الضمائر بالدولار، وتشجيع رعايا (الدول الأخرى) على الزيارة والإيفاد، وفيالق التدخل، وفرق السلام. . كلها لا تعدو كونها خطوط المناورة الخارجية في سوقية الغرب. أما سوقية المعسكر الشرقي في هذه المناورة فهي تتلخص في محاولة النفاذ إلى المياه الدافئة. . ونشر الحركة الشيوعية خارج حدوده، والتهديد بالصواريخ الموجهة عابرة القارات. . واستخدام حق المعارضة في الأمم المتحدة. . والتدخل المسلح إذا لزم الأمر. ويعتبر (بوفر) أزمة كوبا، والسويس، وحرب الجزائر، من الأخطاء التي ارتكبت في تطبيق هذه المناورة. وبالطبع فإن حرب فيتنام ودعم الإسرائيليـين وتحريكهم للعدوان بين المرة والأخرى، وتهجير اليهود إلى فلسطين. . يشكل أحد خطوط المناورة الخارجية لكلا المعسكرين.

أما من الناحية العسكرية المادية المجردة فإنه بات من المستحيل ملاقاة هذه المناورة في حالة انطلاق أسراب من سابقات الصوت والإغارة من عدة جهات على أهدافها. . أو عند انطلاق قذائف بعيدة المدى مثل صواريخ (مينوت مان) الأمريكية التي تصل إلى 13000 كم أو قذائف س س 11 الروسية التي تصل إلى 10,000 كم أو بواسطة إنزال من جميع الجهات، وبعده مباشرة تزحف جحافل مدرعة مسنودة بنار كثيفة من مكان ما وراء العوائق التي كان يعتمد عليها كموانع ضد المهاجم في التخمينات السابقة. وتأكيد نجاح هذه المناورة في الحرب الحديثة راجع لسرعة وسائط الحرب اليوم والقوة التدميرية للأسلحة، والنقصان الواضح في أهمية الأرض.

وبالرغم من أن (بوفر) هذا يؤكد أن هذه المناورة تبقى محكومة بالردع

الشامل الذي حققته الإستراتيجية الذرية المباشرة، فإنه يأتي على حقائق ذات شأن عظيم في الميدان العقائدي والنفسي والجغرافي، وأقصد من تحليلها هنا محاولة الإستفادة منها في السوق الخاص بنا عند وضعه في مواجهة المواقف السوقية العالمية إذا أردنا أن نثبت أقدامنا فوق أرضنا على الأقل. فهو ـ يحث من أجل نجاح هذه المناورة ـ على أن يكون الغرب جبهة موحدة، وأن يحول دون انحطاطه المتولد من انقساماته العمياء، ولا يرى منظمة حلف شمال الأطلسي كافية لهذا النجاح، ولا موقف الغرب في هيئة الأمم المتحدة التي هي لوحة لصورة الصراعات العالمية. ويطالب بإعادة الثقة في حضارة الغرب، ويود استغلال التقدم الإقتصادي في أوروبا، وإيجاد عقيدة متجددة، والأمر الخطير في آراء هذا القائد الغربي إنه يقر أن هيبة الغرب واحترامه تأتي عن طريق تخويف الشعوب الفتية التي تخشى المواجهة.

(2) المناورة الداخلية

والمناورة الداخلية ـ هي أيضاً ـ ليست كما نعرفها من دراسة الكليات العسكرية ، أنها تشمل أموراً أشمل. . وتحوي مناورات أخرى أهم. هذا علاوة على محتواها العسكري المادي المجرد، كتحرك القوات على الخطوط الداخلية لتتباعد كلما ابتعدت عن مكان الإنفتاح. . وبالنظر للإنقلاب الخطير في وسائط الحرب. . ووسائل القتال الحديثة، فقد انتفت (المناورة بالتثبيت) التي كانت تعتمد عليها المناورة الداخلية لكي تنجح. إن القذائف والصواريخ. . والطيران السريع والإنزال، كل هذه العوامل الجديدة ألغت معنى التثبيت. . ومفهوم الأرتال والرتل الأقوى. . إلخ، إذ أن هذه التعريفات مأخوذة من قاموس التعبية والسوق القديمين، وهو قاموس لا يحوي المفردات الحديثة.

(3) المناورة بالخرق

ألغت الحرب الحديثة هذه المناورة. . فقد كانت هذه المناورة تجري قديماً لخرق جبهة العدو الدفاعية، وتحتمي بتحصينات وأسلاك شائكة، وموانع إصطناعية، وطبيعية، وتتربص فيها القطاعات المتخندقة، حتى يأتي العدو ضمن المدى المؤثر لأسلحتها لترميه، مستفيدة في ذلك ـ قدر الإمكان ـ بالعوائق الموضوعة أمام الجبهة. . أما الآن فقد سبق القول وعرفنا أن الجبهة بمعناها التقليدي غير موجودة. . والدفاع أصبح متحركاً. والسرعة الفائقة للوسائط الحربية لدى الطرفين أصبحت حاسمة، فلا يتاح معها مجال المناورة بالخرق، وأن عملية الحشد الكثيف الذي كان يجري للقيام بمناورة الخرق أصبح الآن ـ وتحت ظروف حرب صاروخية وذرية ـ محظوراً إذ أنه من الغباء حشد الجنود المشاة أو الدروع والمعدات في مكان ما للقيام بالخرق. . إن مثل هذا التحضير يشكل في حد ذاته هدفاً مغرياً جداً لضربة ذرية حتى ولو كانت تعبوية، إن لم أقل لرميات بالصواريخ أو هجمات جوية أسرع من الصوت مرتين.

كما أن ظاهرة الحرب الشاملة نقلت الجبهة إلى داخل الوطن، وتحول بكامله إلى ساحة عمليات محتلمة، ووفقاً لهذا الإنقلاب العظيم في ميدان الحركات فإن جبهات تصادم القوى البرية المحتملة تتصف بما يلي:

1 ـ صغر الجبهة للتشكيلات المقاتلة.
2 ـ عدم العمق التقليدي، بل عمق التحضيرات.
3 ـ الجبهة متحركة.
4 ـ عدم وجود اتجاه ثابت.
5 ـ إتساع مسرح العمليات.
6 ـ ندرة التصادم الجبهوي.
7 ـ كثرة ظهور جبهات معكوسة.

ويتضح من طبيعة هذه الحرب المحتملة أن الأهداف تصبح معرضة للضرب أكثر مما كانت عليه في الحرب التقليدية. . وعليه فإن هذا التطور الخطير في دنيا الحرب أوجد معضلات عسكرية بالغة التعقيد، وعلى رأسها معضلة الأمن. . والمبادأة. . وأضحت السيطرة على الأعصاب أصعب ما يكون.

الخاتمة

إن حرب الأسلحة الحديثة، وحرب الأسلحة الذرية والنووية، لم تجرب بعد في العالم كله. وعليه فكافة العسكريـين اليوم لا يتصورونها إلا نظرياً، فالقادة الذين اشتركوا، أو عاصروا الحرب العالمية الثانية، لا يقلون جهلاً بكل تأكيد عن طبيعة الحرب القادمة ـ شأنهم في هذا شأن الذين لم يعاصروا الحروب السابقة. ومن ثم فاشتراكهم في ذلك القتال لا يشفع لهم عندما يقفون في نفس الصف الذي يقف فيه العسكريون الأحداث ليحاولوا ـ بالإجتهاد فقط ـ إدراك كنه حرب الغد الفريدة، ومن هنا تخضع الأحكام للتخمين والخيال، وبذلك صار السوق الحديث سوقاً تخمينياً، تصورياً إعتمدت ترتيباته على التحضير التوقعي، حيث استلزم سبق نظر بعيد للغاية ومرونة فذة في التفكير، وخيالاً واسعاً قادراً على استيعاب المعطيات الحديثة، وقادراً أيضاً على إيجاد الفروض المعقولة ليصل بالتالي إلى نتائج قد تكون قريبة من الحقائق المجهولة. ومن هنا تكتسب جميع النظريات الحديثة عن الحرب القادمة الحق والمبرر لتبقى دون أن يكون لأحد الحق في الإعتراض عليها، وإلى أن تدخل الإختبار الذي نود ألا يقع..

الفهرس

إن حرب الأسلحة الحديثة، وحرب الأسلحة الذرية والنووية، لم تجرب بعد في العالم كله. وعليه فكافة العسكريين اليوم لا يتصورونها إلا نظرياً، فالقادة الذين اشتركوا، أو عاصروا الحرب العالمية الثانية، لا يقلون جهلاً بكل تأكيد عن طبيعة الحرب القادمة - شأنهم في هذا شأن الذين لم يعاصروا الحروب السابقة. ومن ثم فاشتراكهم في ذلك القتال لا يشفع لهم عندما يقفون في نفس الصف الذي يقف فيه العسكريون الأحداث ليحاولوا - بالإجتهاد فقط - إدراك كنه حرب الغد الفريدة، ومن هنا تخضع الأحكام للتخمين والخيال، وبذلك صار السوق الحديث سوقاً تخمينياً، تصورياً اعتمدت ترتيباته على التحضير التوقعي، حيث استلزم بعد نظر بعيداً للغاية ومرونة فذة في التفكير، وخيالاً واسعاً قادراً على استيعاب المعطيات الحديثة، وقادراً أيضاً على إيجاد الفروض المعقولة ليصل بالتالي إلى نتائج قد تكون قريبة من الحقائق المجهولة. ومن هنا تكتسب جميع النظريات الحديثة عن الحرب القادمة الحق والمبرر لتبقى دون أن يكون لأحد الحق في الإعتراض عليها، وإلى أن تدخل الإختبار الذي نود ألا يقع..



منشورات

المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان والمطابع

الثمن

1000 درهم